المرشد إلى الجاسوسية

فِل كيمبي



المؤسسة العربية للدراسات والنشر

ترجمة: جورج خوري

الجاسوسية

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

المركز الرئيسي:
بيروت، ساقية الجنزير، بناية
برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي، هـ ٨٠٧٩٠٠/١
تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

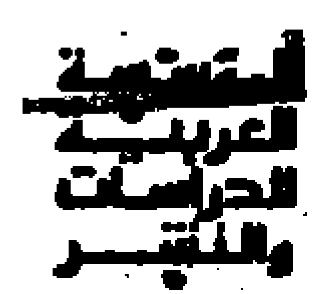
التوزيع في الأردن:
دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان
ص.ب: ٩١٥٧، هاتف: ٦٠٥٤٣٢، فاكس
٦٨٥٥٠١ - تلكس ٢١٤٩٧

الطبعة الأولى
١٩٩٠

المرشد إلى الجاسوسية

فل كيمبي

ترجمة: جورج خوري



مقدمـــة

ما هي الجاسوسيةُ ؟

يجبُ ان تعرفَ ما هي الجاسوسيّةُ .

تجاهلْ تعريفَ القاموسِ ، إنسَ ما يَدّعيه الخبراءُ أنه الجاسوسيّةُ ؛ ففي أيامنا هذه كلُّ انسان خبيرٌ إذ تزايدت الصعوبة في أن تجدَ شخصاً ما لم يطلب منهُ أنْ يعملَ لإحدى وكالاتِ الاستخبارات الأمريكية او الروسية او البريطانيّة او غيرها .

يستطيعُ الانسانُ القولَ بأنه ما دامت الجاسوسية هي الصناعةُ الناميةُ في القرن العشرين ، وبما انها تتطلب عمالة مكثفة فربما كنا جميعاً نعمل لواحدة او غيرها من تلك الوكالات سواء عَلِمنا ذلك أو جهلناه ، كما يجب ان نعلمَ أنَّ للجاسوسية تعاريف تفوق عدد افراد الشرطة السرية في بعض الدول ، ولكنَّ التعريفَ الذي يجب ان يشغل بالك هو الذي اذا طُبِّق على نشاطك قد يؤدّي الى :

أ) مراقبة هاتِفك .

ب) استجواب أناس قد يفتقرون الى التعاطف مع نشاطاتك .

حـ) عقد مربح مع دار للنشر .

د) تقاعد مبكر في مكان يصعب عليك فيه ان تُنفقَ المالَ الذي تحصلُ عليه من عقدك مع دار النشر .

لهذا فإنَّ الجاسوسية يُمكن تعريفُها بأنّها « محاولةٌ غيرُ مرخّصة يقومُ بها شخص او اشخاص للحصول على معلومات من أيِّ نوعٍ وتسريبها ، مما يؤدي الى تهديد أمن الدولة ، او مساعدة شخص آخر للقيام بذلك ، او حتى الاشتباه بأنَّ شخصاً ما يفعل ذلك ، دون الابلاغ عنه » . وما يجب عليك ان تتذكره هو ان الدولة هي التي تقرر من هو المفوّض ومن هو غير المفوض للقيام بذلك ، وأيُّ المعلومات تهدد بالفعل أمنها ، وبهذا فإنَّ كل شيء يُمكن تصنيفه كعمل من أعمال الجاسوسية ، حتى لو كانت جاسوسية من طرازٍ تافه ، لا يستحق ان يحمل على محمل الجد .

كما يجبُ أنْ تلاحظ ان العمل ليس من الضروري أنْ يكون ناجحاً ليُصنف كعمل تجسسي ، فالمحاولة وحدها تكفي .

ومهما كانت الجاسوسية فإنْ شيئاً واحداً مؤكدٌ بشأنها : انها موجودة بكثرة وليست كلُّها من سقط المتاع ويستطيع المرءُ ان يُشير الى أنَّ الأموال المخصصة لها في مختلف انحاء العالم (بين اربعة وعشرين وثلاثين مليار جنيه استرليني في العام) . لا بُدَّ وانها تحرز شيئاً ، والحقيقة انها كذلك ، فالجاسوسية مثلاً :

١) تساعد على تلطيف التوترات بمساعدة احد الطرفين على ان يعرف (او ان يظنَّ بأنّه يعرفُ) ما يفعله او ما سيفعله او ما كان الطرف الآخر سيفعله لو لم يتوصل الطرف الأول الى اكتشاف امره .

٢) توظف بصورة مباشرة اكثر من مليون شخص وبصورة غير مباشرة (من كتّاب وفنيي أفلام وصحفيين وغيرهم) وربما اكثر من هذا العدد .

٣) ترضي النظريين من ذوي الخيال الواسع .

وبالإجمال على الناس ان يُدركوا بأنّه لا يحدث (هذا ان حدث بالفعل) الا القليل من الكوارث او النجاحات في دنيا الجاسوسية ، بل مجرد سلسلة من المناوشات التي يكون النصر المؤقت فيها للطرف الذي يمتلك افضل وسائل الإعلام والعلاقات العامة .

اللاعبون

لكي يوفّق الانسان في مخادعة الهواة وفي جعل المحترفين ينظرون اليه بجدّية يجب ان يعرف شيئاً عن وكالات الاستخبارات العالمية ، ولكن ليس الكثير ، لأن المتورط في الأمر لا يرغب على أيٍّ حال في كشف الكثير ، لكن تلك المعرفة تساعدُ الانسان على ان يقرر فيما اذا كان شخص ما يخادعه ، بالاضافة الى السماح له بأن يسجل نقاطاً من مدّعي معرفة في حفلة عشاء .

ربما يكون الأمر أسهل اذا فكرت بهذه الوكالات كاتحادات رياضية ـ متذكراً بالطبع ان مواجهة بريطانيا الامبراطورية لروسيا الامبراطورية على الحدود الشمالية الغربية كانت تعرف بالمباراة الكبرى ، على الأقل من قبل البريطانيين ، اذ ان الروس اخذوا الأمر بجدية اكثر ، مما يفسر سبب استمرارهم في اللعب في افغانستان ، غير ان البريطانيين عرفوا ان المباراة قد انتهت منذ زمن بعيد ، لكن الروس ما زالوا ينتظرون الشوط الثاني .يجب ان يلاحظ الانسان أن من المستحيل في اقسام معينة ضمن رابطة التجسس العالمية اظهار بطل شمولي ؛ على أن في وكالة الاستخبارات الروسية (كيه / جي / بي) دائرة بأسرها موجهة بصورة خاصة ضد اسرائيل بينما تتجمع الولايات المتحدة وكندا معاً (مما يضايق كندا التي تكره ان تعتبر ولاية امريكية

اخرى ـ على ان مصادر مطلعة تقول ان الكيه / جي / بي قد وافقت على ان تخصص دائرة منفصلة لكندا مقابل السماح لاسطول صيد السمك الروسي باصطياد حصة اضافية من سمك القد والسلمون من المياه الكندية الاقليمية .

والصين واليابان يواجه كلاهما شيئاً من الصعوبة في التجسس على اقطار حلف وارسو ، لذلك اضطرت كل منهما لبذل معظم جهدها للتجسس :

أ) ضد الأخرى .
ب) ضد كوريا .
جـ) كل منهما ضد كوريا .

اعترافاً من الكوريين بجنون الارتياب ، فإنهم يدعون وكالة استخباراتهم الخاصة سي / آي / ايه ، والسبب الرسمي الذي جعلهم يفعلون ذلك ، هو ان الأحرف الأولى للاسم الأول الذي اختاروه وهو ، كيه / آي / ايه ، ترمز ايضاً الى عبارة « قُتل اثناء المعركة » .

ان جميع الأمم الناشئة (ولا تسأل ابداً من أي شيء ناشئة) ترى الآن ان وكالات التجسس ومكافحة التجسس هي اثبات اكيد بأن لها الحقّ في امتلاك مفتاح السرّ في هيئة الأمم المتحدة .

الدرجة الأولى البلاد لنا	الوكالة وعملها	التصنيف المهني
الولايات المتحدة الامريكية	1) وكالة الاستخبارات الامريكية ـ تجسس	ب
	2) مكتب المباحث الفدرالي ـ مكافحة التجسس والجرائم الفدرالية الرئيسية	ب ـ
	3) وكالة الأمن الوطنية ـ مراقبة الكترونية	ب
	4) وكالة الاستخبارات العسكرية	ب ـ
	5) وكالة استخبارات وزارة الخارجية ـ ووكالة خاصة جدا حقا .	؟
بريطانيا	1) مصلحة الاستخبارات السرية ـ تجسس	آ
	2) M 15 ـ مكافحة التجسس ومكافحة الارهاب	ب +
	3) قيادة الاتصالات الحكومية ـ مراقبة الكترونية .	آ ـ
	4) الاستخبارات العسكرية	ب +
فرنسا	1) وكالة الاستخبارات ـ تجسس	ب ـ
	2) وكالة مكافحة التجسس ومكافحة الارهاب	ب +
	3) المكتب الثاني ـ أستخبارات عسكرية	ب +
المانيا الغربية	1) وكالة الاستخبارات ـ تجسس	ب ـ
	2) مكتب مكافحة التجسس ومكافحة الارهاب	آ

3) مصلحة الاستخبارات العسكرية ب +

احياناً لنا :

اسرائيل 1) الموساد ـ تجسس آ +

2) سين بيث ـ مكافحة التجسس آ +

3) أمان ـ استخبارات عسكرية

ومراقبة الكترونية . آ

لهم

الاتحاد السوفييتي 1) الكيه / جي / بي ـ تفعل ما

يخطر ببالك . ب

2) مصلحة الاستخبارات العسكرية ب +

من الفئة الأولى من طرفنا يعتبر الاسرائيليون افضل اللاعبين وأقساهم ، أما الامريكيون فأكبر من غيرهم ، لكنهم يقاسون من كثرة المعلومات والبيروقراطية. والبريطانيون ماهرون في التحليل لكنهم ، بين الحين والآخر ، معرضون لتسرب المعلومات منهم . والفرنسيون قساة ، لكنهم احياناً مرتبكون قليلاً ، كما يقاسي الألمان الغربيون من الرقابة السياسية الزائدة عن الحد ، ومن كون بلادهم المسرح المفضل للجميع .

ومن الناحية الأخرى فإن اللاعبين الرئيسيين هما الكي / جي / بي ووكالة الاستخبارات العسكرية الروسيتان ولسوء الحظ أنهما لاعبان رئيسيان في كافة انحاء العالم ويسيطران على جميع الألعاب .

إن الكي / جي / بي ليست ، كما هو رائج بين الناس ، سليل شرطة القياصرة السرية ، إنها تكتّل من عدة وكالات مختلفة ، ومن ضمنها واحدة انشأها لينين لهدف واحد ، وهو سرقة الاسرار

الصناعية والتجارية من الغرب . صحيح ان الكي / جي / بي تضم بعضاً من سُلالة شرطة القياصرة السرية ، لكن اهتمامها أبعد بكثير من مجرد تصفية اعداء الدولـة ، كما أنها تجهّـز جميع جـرس الحدود وتحتفظ بعلاقات (سيطرة) مع جميع مصالح المخابرات لدول حلف وارسو الأخرى .

أما مصلحة الاستخبارات العسكرية فمهتمة أساساً بالتجسس والأمن العسكـري ، وتعمل في الخـارج في أي مكان يـرى الاتحاد السوفييتي أن له اهمية استراتيجية محتملة خاصة ، أي في كل مكان ، وقد تكون المصلحة تابعة للكي / جي / بي او لا تكون ، وكل ذلك يعتمد على من يكون قد فاز (مؤقتاً) بالنزاع الدائم على السلطة في الاتحـاد السـوفييتي من بـين الحـزب والكي / جي / بي والقــوات المسلحة .

ينبغي ان يعرف الناس ان لكلّ من الكي / جي / بي ومصلحة الاستخبارات العسكرية وكالتها الخاصة للصحافـة ـ تاس للكي / جي / بي (رغم انها الآن مهـددة من وزارة الخـارجيـة و / او من استيلاء الحزب عليها ونوفوستي لمصلحة الاستخبارات العسكرية .

كثيراً ما يعتمـد الاتحاد السـوفييتي على بـدائله في اقطار حلف الأطلسي ، واهمها :

1) وزارة الأمن والاستخبارات في المانيا الشرقية .

2) مصلحة امن الدولة السريـة في تشيكوسلوفـاكيا ، فـوزارة الأمن والاستخبارات في المانيا الشرقية تستخدمها مـوسكو بصـورة أساسية لكشف :

ـ ما يحدث في المانيا الغربية .

ـ ما ينوي الكوبيون عمله .

كما ان السوفييت كثيراً ما يستخدمون مصلحة أمن الدولة السرية في تشيكوسلوفاكيا لتجنيد مصادر اجنبية ، ربما لأن أوروبية التشيكوسلوفاكيين اكثر وتحركهم في الغرب والاختلاط بشعوبه أسهل .

كما يجب ان يعرف الناس ان جميع وكالات حلف وارسو :

آ) تعتبر احتياطات للكي / جي / بي ومصلحة الاستخبارات العسكرية السوفييتية .

ب) كثيراً ما يصيبها الارتباك بالنسبة لتوجيه ولائها : فهل هو لبلادها أم لروسيا ، باستثناء البولنديين الذين يكون ولاؤهم لروسيا في يوم الثلاثاء الثالث من كلّ شهر ، ولمصلحة استخبارات الفاتيكان يوم الأحد مرة كل اسبوعين .

جَماعات الدرجتين الثانية والثالثة

يجب ان يعرف القارىء ان الفرق الرئيسي بين الدرجة الأولى من جهة والدرجتين الثانية والثالثة من جهة اخرى ، هو ان الدرجتين الثانية والثالثة تلعبان عدداً أقل من المباريات الخارجية ، أي لا تعملان بنفس المقدار دولياً ؛ وفي حين تستضيفان وكالات زائرة من الدرجة الأولى ، فإنهما لا تتوافر لهما إلاّ فرص قليلة لتنمية مهارات ضرورية معينة ، كتزوير جوازات السفر الأجنبية .

هناك دلائل توحي بأن كلّا من الصين وجنوب افريقيا ستتمكنان قريباً من الصعود الى الدرجة الأولى ، بينما يُرجّح ان تضطر استراليا

الى الصعود الى تلك الدرجة لمجرد ان هناك معلومات سرية منتشرة كثيراً بأن إطار المحيط الهادىء سيكون موقعاً لمباريات كأس الجاسوسية القادمة ، واذا حدث ذلك فالمتوقع حدوث بعض التنقلات بين استراليا والصين بسبب ما يكابدان من هلع مصدره الولايات المتحدة واليابان ، أما الجاسوسية الكندية فمكرسة بصورة رئيسية لإيقاف الولايات المتحدة وروسيا عن إجراء مبارياتها الخارجية في منطقة محايدة ، أي في كندا .

كما يجب ان تعلم انه رغم كون سوريا في الفئة الثالثة إلا ان استخبارات سلاحها الجوي يرقى دون شك للفئة الثانية ، وربما الأولى ، ولكن يجب ألا تتعامل معها بصوت مرتفع . فالسوريون لا يحبون ذلك ، كما لا يحبه الاسرائيليون ، على أن بإمكانك ان تدعي ان مصلحة مكافحة الجاسوسية في العراق هي واحدة من القلائل التي تملك روح الدعابة ، كما يتبين من بطاقة لعيد الميلاد أرسلت لعميل اوروبي يعمل لحسابه بعد ان قضى ثلاثة شهور في سجن انفرادي ، ثم جرى ترحيله بعد ان اشتبه (عن حق) بأنه يخطط لعملية اغتيال ، فقد كانت الرسالة على البطاقة تقول : « ننتظر بشوق رؤيتكم في السنة القادمة » .

الفئة الثانية

الدولة	مصدر التهديد	الفئة
نحن		
كندا	الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة	ب
استراليا	سواحلها الهائلة	ب +
سويسرا	سياسات ائتمانية غير مسؤولة	ب

ايطاليا	حكومة مستقرة	ب
هولندا	أي شيء يتعارض مع التجارة	ب
بلجيكا	خسارة نفوذها في افريقيا	ب ـ
السويد والنرويج	عدم حملهما من سائر العالم محمل الجد	ب ـ

هم

الصين	الاتحاد السوفييتي ، اليابان والولايات المتحدة	ب
جنوب افريقيا	كل دولة باستثناء اسرائيل	ب

الفئة الثالثة

نحن

نيوزيلندا	اهتمام اي من الدول الكبرى بها	ب ـ

ليس منا او منهم

امريكا الجنوبية	جميع أمريكا الجنوبية	ب ـ

هم

ليبيا	تجاهل الآخرين لها	ب ـ
سوريا	الولايات المتحدة والعراق	ب ـ
العراق	الولايات المتحدة وسوريا	ب ـ

في حين قد تشعر كل من سوريا والعراق احياناً بأنها مهددة من اسرائيل ، إلا انها لا تعترف بذلك ، والسبب الأساسي أن أيّا منهما لا تعترف باسرائيل ، فكيف يشعر الإنسان انه مهدد من شيء غير موجود ؟

الفئة الرابعة

تشمل بقية العالم ، ويجب ان تلاحظ ان بعض الأقطار مصنّفة في

الفئة الرابعة لأنها ترفض بإصرار لعب اية مباريات مع فرق أخرى سواء في بلادها أو في الخارج ، فليس من الضروري معرفة اسماء وكالاتها ، وقد تعتبر معرفة اسم وكالة استخبارات اندونيسيا لما وراء البحار تباهياً رخيصاً ، والأسوأ من ذلك فقد تلفت انظار وكالة استخبارات ماليزيا ، التي ربما تحاول تجنيدك مقابل وعود لقضاء اوقات ممتعة في كوالا لمبور في ضوء القمر ، بالاضافة الى قماش ملون مجاناً لمدى الحياة .

اتحادات الهواة

كما هو الحال بالنسبة لأنواع الرياضة الأخرى ، كثيراً ما يكون مستوى وكالات التجسس الهاوية افضل من مستوى الوكالات المحترفة ، وفي اغلب الأحيان لا تنتمي هذه الوكالات الهاوية الى اقطار معترف بها ، مثلاً :

- المافيا ، التي تملك شبكة للتجسس ولمكافحة التجسس ، على جانب عظيم من الكفاءة وعون محدود من اصدقائها .
- الفاتيكان ، التي هي دولة من ناحية نظرية ، غير انها بالحقيقة ليست اكبر من كاتدرائية ضخمة محاطة بمتحف ومصرف ومحطة اذاعة ، ومع ذلك تدير احدى اكبر وكالات الاستخبارات في العالم .

كما يجب ان تُضمّ اليابان للاتحاد ، فبالرغم من انها بالتأكيد احدى الاقطار ، إلا أنّ شركاتها الخاصة الكبرى تستخدم بصورة رئيسية لجمع المعلومات من الخارج ، ويجب ان يعلم القارىء ان هناك ضغطاً من الولايات لمتحدة لإبطال صفة الهواية عن اليابان ، وهذا ما يردده الاتحاد السوفييتي ، الذي يحب كثيراً ان يلعب مباراة او

مبارتين في طوكيو .

التحالفات

ان التحالفات الاساسية في الغرب هي بين :

- البريطانيين والامريكيين .
- الامريكيين والاسرائيليين .
- البريطانيين والألمان الغربيين .
- الألمان الغربيين والاسرائيليين .
- الفرنسيين والفرنسيين .

لسوء الحظ ما زال الفرنسيون يقاسون من الاشاعة القائلة بأن وكالتهم اصبحت تعمل مستقلة لحسابها منذ بضعة اعوام (ومن المؤكد انه قد مرت أوقات لم يظهر فيها إلا القليل من الدلائل التي تشير الى أنها تعمل للحكومة الفرنسية او لفرنسا) وكما يقول المثل « ان المكانس الجديدة تكنس جيداً » ـ الى درجة يبدو معها انه لم يبق في الوكالة الا القليل جداً من العملاء ، هذا ان بقي فيها احد بالفعل ، وقد يمر وقت ليس بالقصير قبل ان تعاود العمل مرة ثانية .

وفوق هذا وذاك هناك شعور عام بالضيق بين الوكالات الأخرى في تعاملها مع مكتب المباحث الفدرالي (الامريكي) لأن العدد الوافر من موظفيه هم :

- محاسبون .
- محامون .

على ان القاعدة العامة هي أن أي شخص يتعامل مع أي شخص آخر اذا وجد سببا كافيا لذلك ، وهذا يشمل مثلاً تعاملات بين مصلحة الاستخبارات السرية (البريطانية) والكي / جي / بي ، اذا كان معنى ذلك التخلص من جماعة ارهابية تزعج الطرفين .

لعبة الجاسوسية

للوهلة الأولى قد يفترض غير الحذر أن في الجاسوسية مهنتين فقط :

١ ـ مهنة الجواسيس ، أي الاشخاص الذين يقومون بالتجسس مع مساعديهم .

٢ ـ مهنة المتجسسين على الجواسيس ، أي من يحاولون منعهم من القيام بذلك .

لكن هذا ليس صحيحاً تماماً ، اذ لكي يستطيع المتجسسون على الجواسيس ان يقوموا بمهامهم على وجه صحيح ، يجب ان يعرفوا ما الذي يخططه الجواسيس ، مما يعني ان عليهم القيام بأنفسهم ببعض التجسس الهادىء .

إن التجسس في واقع الأمر معنيٌ بنشاطين رئيسيين :

١) الاستخبار (محاولة اكتشاف اكثر ما يمكن)

٢) الأمن (محاولة منع اي انسان من اكتشاف أي شيء على الاطلاق) .

كما يوجد تصنيف فرعي لكل من هذين النشاطين .

١ ـ آ : أمن الاستخبار (محاولة منع اي انسان من اكتشاف ما تحاول اكتشافه) .

١ ـ ب : استخبار الأمن (محاولة اكتشاف ما يحاول شخص آخر اكتشافه عنك) .

تقليدياً كانت الوظائف الساحرة دائماً في الاستخبارات واستخبارات الأمن ، ولو لمجرد انها تتيح الفرصة للقيام بسفرات خارجية ، او على الأقل للمشاركة بالمشتريات المعفاة من الرسوم الجمركية مع من يقومون بتلك السفرات ، على ان القارىء يجب ان يعلم ان الفئات الأربع يطلق عليها دائماً أسماء مختلفة ، غالباً من قبل اناس من داخل المصلحة مما يزيد من الاضطراب المعتاد ، اذ قد يرتبك الناس قليلاً بشأن ما هو مفترض ان يفعلوه : الاستخبار ؟ الأمن ؟ أمن استخبار الأمن ؟ ان الأمر يتطلب عقلاً مركباً لمعرفة ما الذي يفترض ان يعمله الانسان ، فضلاً عن البدء بالعمل .

من المهم أن نتعلم شيئاً عن « عملية الاستخبار » لأنها اساسية بالنسبة للتجسس ؛ لقد جرت العادة في هذه الأيام أن نتكلم عن أحجية الصور المقطعة في الاستخبار ، أي فن تركيب جميع قطع المعلومات المنفصلة التي تجمعها اعمال التجسس وغيرها لتكوين « الصورة الكبيرة » ، ولهذه العملية وهذه المراحل قيمة لا تقدر بثمن ، إذ انها :

آ) تخفي بالفعل حقيقة انفاق الكثير من الوقت والمال في جمع معلومات لا فائدة منها (ولكن عندما نبدأ في رؤية الصورة الكبيرة . . . ») .

ب) تبرر استخدام الآف المحللين .

جـ) تساعد على زيادة الميزانيات (الحقيقة الذائعة ان الدوائر الحكومية تحب إغداق الأموال على مشاريع لن تكمل ابدا ، وبهذا لا يمكن الحكم بفشلها) .

من الواضح ان المعلومات هي مفتاح تكوين احجية الصور المقطعة في الاستخبار ، ولكن بما ان احجية الصور المقطعة لن تكمل ابداً ، فإن كلا من القطع الفردية والصور الكبيرة تغير اشكالها طوال الوقت ، وكثيراً ما يتضح ان الصورة التي يظن المرء انه يحاول بناءها لم توجد على الاطلاق .

كيف تعمل

تجمع المعلومات (المعطيات) بطرق مختلفة ، بعضها علنية وبعضها سرية ؛ وهذا فرق دقيق ، إذ انه حتى لو حصلت منظمة (وكالة) تجسس على المعلومات بصورة شرعية تماماً ، لا يجب ان يعلم احد انها توصلت لذلك ، لهذا يجب ان تكون سرية ، على انه بمجرد معرفة الأطراف الأخرى انك مهتم بالمعلومات المتوافرة بحرية فإنها تجعلها سرية ، ولهذا من الأفضل ان تعالجها كمعلومات سرية منذ البداية وتوفر عليها المشقة .

ان كل هذا يعني أن المعلومات يمكن الحصول عليها بواسطة :

- الابتزاز
- السرقة
- التصوير
- الإصغاء للشائعات
- القراءة

- التوصل في الحمّام الى افكار جيدة .

وبمجرد جمع تلك المعلومات يقضي العديدون من المرؤوسين أياماً واسابيع وشهوراً في عمل ما يلي :

مقارنة المعطيات ـ ترتيبها بنوع من النظام الذي يمكن تمييزه ، وحتى اعتباره منطقياً ، او فتح ملفات جديدة بديعة براقة أو ملفات كمبيوتر ، تصبح سرية على الفور .

تفسير المعطيات ـ اكتشاف معناها ومكانها المناسب في الصورة الكبيرة .

نشر المعطيات ـ ايصالها لمن هم **في حاجة لمعرفتها** .

عَوْدٌ على بدء ـ الرجوع لجامعي المعطيات الأصليين في ضوء أحدث التفسيرات (كمعرفة ان كانت الغواصة الروسية الجديدة قد صممت لتبدو حوتاً) .

لا بد وان القارىء قد لاحظ طبع عبارة « في حاجة لمعرفتها » بالحرف الأسود المميز ، مما يعني ان الشخص لا يحصل إلا على المعلومات التي يحتاج اليها لأداء مهمته ، وبما ان شخصاً آخر يقرر ما الذي يحتاجه الشخص الأول ، فلا بد وأن يحدث خطأ من جهة الحذر ، ونتيجة لذلك :

- يقضي الكثيرون من العاملين في التجسس وقتاً طويلاً وهم يعملون في الظلام عملياً ومجازياً .
- يقضي كبار المسؤولين وقتاً طويلاً جداً لمعرفة ما الذي يحتاج مرؤوسوهم الى معرفته .

يفشل العديد من العمليات لأن شخصاً ما في القمة يكون قد قرر ان لا احد يحتاج فعلاً الى ان يعرف شيئاً .

لغز الاستخبار

يفهم القارىء ان المشكلة بالنسبة لعملية الاستخبار غير ناتجة عن جمع المعلومات واعادة التأكد منها بقدر ما هي ناتجة فعلاً عن مقارنة المعطيات وتفسيرها وتوزيعها ، وذلك لسبب بسيط وهو وجود الكثير الكثير من المعطيات المطلوب معالجتها ، فالصعوبة تكمن في أنه لما كانت تلك المعطيات قد كلفت الكثير للحصول عليها ، كان يجب ان تستخدم ، ولو أدّى ذلك الى تصميغ العملية بأكملها .

مثلاً ، قد يبدو أمراً رائعاً ان يستطيع قمر صناعي تصوير علبة كبريت من ارتفاع عشرة اميال او ربما يبدو امراً رائعاً كذلك التمكن من التنصت على محادثة هاتفية في بلدة ما في الاتحاد السوفييتي ، ولكن وقتاً طويلاً قد يهدر في محاولة معرفة :

أ) ما الذي تفعله علبة الكبريت هناك ؟ (وهل هي علبة هدامة ؟ او هامة من أية ناحية على الاطلاق ؟ وهل يعني وجودها عدم توافر القداحات في الاتحاد السوفييتي ـ ولكن ألم نكن نعلم ذلك على أي حال ؟)

ب) هل تلك المحادثة الهاتفية المعترضة بريئة ؟ (او هل هي برموز بالغة التعقيد وليست بالحقيقة مناقشة بين ربتي منزل عن المتجر الذي قد تجدان السكر فيه ؟) .

لهذا يجب ان نشكر الامريكيين ، وخاصة لتطور مراقبتهم التي يقومون بها عن طريق الأقمار الصناعية ولتنصتهم الالكتروني

المتزايد ، كما يجب ان نشكر الكي / جي / بي التي تعتقد ، كالسناجب ، ان جميع المعلومات يجب ان تجمع وتخزن .

ان احدى النتائج الثانوية الأكثر متعة لهذه الفوضى هي أن الأقطار الصديقة تقضي وقتاً طويلاً وهي تحاول بيع المعلومات بعضها لبعض كي تستعيد تكاليف جمع شيء لا تحتاج اليه حقيقة ، مما يعطي القطر المشتري معلومات اكثر لتحيير محلليه .

كما يجب ان يعلم القارىء ان المخابرات الفرنسية والبريطانية والاسرائيلية تختلف عن مخابرات الامريكيين والسوفييت اذ تعتقد ان :

1) عليها أن تركز على المعلومات التي من الواضح انها هامة فقط .

2) ان الأهمية يمكن ان يقررها في حالات كثيرة موظفون من مستوى منخفض الى حد ما .

3) هناك اشياء أهم من تكديس معطيات من المحتمل ان تكون :

آ) قديمة .

ب) غير دقيقة ، أو

جـ) بعيدة عن التحليل المنطقي .

وفضلاً عن أي شيء آخر ، فإنها تحزّ في الحياة الاجتماعية .

ان احد المواضيع الدائمية للنقاش في دوائر الاستخبارات هو : أيها افضل لتجميع المعلومات : الأجهزة (الاقمار الصناعية واجهزة

اعتراض الاشارات اللاسلكية الى غير ذلك) او الناس (الجواسيس والسكرتيرات الحمقاوات الى غير ذلك) ؟

ومن ناحية اخرى فإن أنصار الأجهزة المعدنية (وكالة الاستخبارات المركزية ـ الامريكية ـ ومصلحة المراقبة الالكترونية ـ الامريكية ـ ومصلحة المراقبة الالكترونية ـ البريطانية ـ) يقولون ان وسائلهم :

آ) تكون اقل احراجاً اذا ما اكتشفت

ب) اكثر دقة .

جـ) تعتمد كثيراً على اجهزة الكمبيوتر التي لا تصر على ظروف عمل غير معقولة كاستراحات لتناول القهوة واجازات مرضية ، وجمع التبرعات لزميل على وشك الزواج .

اما التقليديون فيشيرون الى :

آ) ان المراقبة الالكترونية (عن طريق الاقمار الصناعية والأجهزة المعترضة) يمكن خَدْعها :

ب) عدم استطاعة اي مقدار من ذلك الاستخبار معرفة ما يفكر به الناس او يخططون للقيام به (مثلاً اذا وقع احد الوزراء السوفييت في غرام احدى راقصات فرقة باليه البولشوي المتزوجات) .

جـ) ان جميع نظم المراقبة المختارة لم تساعد كثيراً في فيتنام او افغانستان او لبنان او ايران .

على العموم يميل المنطق للوقوف الى جانب التقليديين ، على ان أيّا من الحجج لم تردع السوفييت عن اطلاق مكوكهم الفضائي

(القصد من جميع المكاكيك لدى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، ان تكون أساساً منطلقات لأقمار تجسس صناعية) .
وبهذا يستطيع القارىء ان يكون متصلباً برأيه بشأن أمر واحد : انه نظراً لجميع تلك الأموال المستثمرة في الأقمار الصناعية ومحطات الاعتراض واجهزة الكمبيوتر ومباني المكاتب الجديدة ، فإن انصار الأجهزة المعدنية لن يستسلموا دون قتال حتى بعد ان ثبت ان أنظمتهم لأجهزة الكمبيوتر عرضة للسقوط على أيدي عابثين لم تتجاوز اعمارهم الثانية والعشرين .

نتيجة لهذا المقدار الضخم من المعلومات فإن العدد القليل الحقيقي من صانعي القرارات :

- يصبحون اكثر ارتباكاً بصورة متواصلة
- يصابون بالخوف الوسواسي من اجهزة الكمبيوتر وغرباء الأطوار الذين يديرونها والذين ، في نظر هؤلاء ، يشبهون العفاريت .
- يجدون صعوبة متزايدة في اتخاذ اية قرارات على الاطلاق .

وهذا عكس ما كان يحدث في العادة عندما كانت المعلومات الوحيدة المقبولة هي التي تساعد على تنفيذ سياسة مقررة مسبقاً او على الأقل تساعد على افشالها سراً ، وبشيء من الكرامة .

داخل الوكالة

على القارىء ان يتعلم بسرعة استعمال كلمة « وكالة » وهـذا يعني انك فهمت ما تعني ـ وهو ليس دائماً ما تظن انها تعني .

ان « الوكالة » تشير عادة الى وكالـة الاستخبارات المـركزيـة ، ويعود ذلك من ناحية الى أنها تُعرف بهذا الاسم ومن ناحية اخـرى لتمييز الوكالة الامريكية عن الوكالة الكورية .

و« الـوكالـة » هي منظمـة تستخـدم عمـلاء تجسس واحيـانـاً متجسسين على الجواسيس (لاحظ ان الوكالة يمكن ان توجد لعملية وحيـدة فقط) ، وهكذا فـرغم ان وكالـة الاستخبارات المـركـزيـة الامـريكية هي وكـالـة ، إلا ان جميـع الـوكـالات ليست وكـالات استخبارات مركزية ، بل تبدو كذلك فقط .

كما يجب ان يعرف القراء أن جميع الوكالات ، ومن ضمنها وكالة الاستخبارات المركزية ، لـديها شيء مشتـرك مع انـواع اخرى من الوكالات (كوكالات توفير عارضات الأزياء والإعلان والتوظيف ـ الى غير ذلك) اذ ان لديها جميعها شيئاً تبيعـه ، وفي حالـة وكالات التجسس فإن هذا الشيء يدعى « ناتج الاستخبار » ، وهو نوع جيد من اصطلاحات كليات ادارة الأعمال لعبارة « المعلومات » ، وكلما

زادت كمية ناتج الاستخبار وتحسنت نوعيته ، كلما زادت ميـزانية العام التالي .

ان وكالات التجسس المضاد لا تبيع بالحقيقة ناتج الاستخبار ما لم يكن ناتج الاستخبار الذي يهتم بما يخططه الجواسيس ، وهو ما لا يباع حقيقة ، ولكنه يكون مجالاً لاتخاذ الاجراءات بشأنه ـ احياناً حتى في الوقت المناسب لايقـاف جواسيس الـطرف الآخر عن التجسس ، وبالحقيقة انه كلما أحسنت وكالة للتجسس المضاد تنفيذ عملها ، كلما قلت حاجتها لاظهاره ، ومن الواضح ان روعة هذا العمل هي دون روعة السعي لاكتشاف معلومات لا يحق للمرء ان يعرفها ، وهو سبب لبدء وكالات التجسس المضاد في التجسس على وكالات التجسس ؛ وعلى بعضها بعضاً لكي يصبح لديها هي ايضاً ناتج استخبار تبيعه ، او على الأقل شيء ، اي شيء ، للتحدث عنه صباح الاثنين ، بعد عطلة نهاية الاسبوع .

الفاعل وماذا يفعل

يجب أن يدرك القارىء ان في داخل جميع الوكالات :

1) من يخططون
2) من يفعلون .

وينضـوي تحت قائمـة المخططين المحلّلون والاداريـون ، امـا الفاعلون فهم من يديرون المصادر ، وفي حين يميل العالم الخارجي الى الاعتقاد بأن الفاعلين لهم المراكز الفاتنة إلا ان المخططين هم بالحقيقة من يملكـون السلطة ، كما انهم من الأسهـل عليهم حصولهم عـلى التأمين على الحياة .

وينبغي ان نشير الى انه لما كانت الوكالات قـد وجدت لجمـع المعلومات واستخدام شبكـات من العملاء لمسـاعدتهـا على القيـام بذلك ، فمن المحتمل ان تكون تلك الشبكات نفسها منظمة داخلياً كشبكات تجسس ، أي كمجموعات من الخلايا المستقلة ، التي تظل منعزلة بعضها عن بعض مع وجود عدد قليل جداً من الموجهين الذين يعرفون المنفذ وماذا يفعل ولماذا، ولن يعرف احد ان كان المرؤوس مصيباً او مخطئاً غير اولئك المسؤولين ، الذين لن يعارضوه ابداً .

المخططون

خلافاً للاعتقاد الشائع ، فإن المخططين قد يكونون ممّن قضوا بعض الوقت في الميدان ، وهذا أمر هام ، إذ انه يتيح لهم :

أ) الحكم بدقة على نفقات العميل .

ب) خلق انطباعات قوية في أذهان من لم يقوموا بذلك .

كما أنه يسمح لهم بأن يبدوا فعالـين في تلك المناسبـات النادرة عندما تلتهب المشاعر ، إذ من سيجادل شخصاً كان قد سار في الأزقة الخلفية لمدينتي براغ او هونغ كونغ او أكل لحم الحيات في بورنيو او ضاع لمدة اسبوع في ريو اثناء الكرنفال بينما كان يفترض فيه ان يكون في بيكين يحاول ترتيب عملية لجوء الى الغرب ؟

ومن ناحية ثانية فإن العملاء الميدانيين الـذين يتخرجـون فعلاً ليصبحوا إداريين ، كثيراً ما يشعرون بالمرارة والحزن في العمليـة اذ أنهم يكتشفون :

- ان اصدقاءهم القدامى (عملاء الميدان) لم يعودوا يثقون بهم .

ـ انهم تابعون لأناس لم يذهبوا إلى أبعد من روما شرقاً ، وحتى تلك الرحلة كانت ضمن رحلات سياحية جماعية .

ـ ان لا أحد مهتم بمعرفة أفضل ما مر بهم من أحداث .

وفي الوقت نفسه يكون المخططون عادة اذكياء وميالين لاقتباس اقوال غامضة يستعملونها عندما يخبرون شخصاً ما ان يخبر شخصاً آخر لينقل الى عميل معين أن يحاول مرة ثانية مراجعة نفقاته او ادعائه بوجود قاذفة امريكية من طراز B52 على سطح القمر .

أما الاداريون (لشؤون الموظفين والمالية وغير ذلك) فلا ينالون دائماً التقدير الذي يشعرون بأنهم يستحقونه ، ان حظهم تعيس ، لأن الوكالات تعتقد ان الاداريين وجدوا ليعملوا ولهذا يجب ان يعملوا ما يطلب اليهم عمله ، وهذا معاكس تماماً لاعتقاد البيـروقراطي بـأن المنظمة وجدت لتوفير العمل لمديريها ولهذا فإن عليها ان تفعل ما يطلبه اداريوها .

العملاء

ان العملاء يعملون لنا أما الجواسيس فيعملون لهم ، ويجب ألا يقع القارىء في فخ الاعتقاد بوجود احترام مهني ، يكاد يصل الى حد المودة ، بين الجواسيس ومقاومي التجسس العاملين لأمم متعارضة السياسة ؛ فمن الصعب بمكـان جعل الفـرنسيـين والبـريـطانيـين يتحدثون بأدب بعضهم لبعض ، مع ان من المفروض ان يكونوا في ناحية واحدة ، والحقيقة انه لا يمكن إلا ان تكون هناك ناحية واحدة في الجاسوسية : ناحيتك ، أي بلادك وغالباً وكالتك ، او حتى ادارتك داخل وكالتك .

ان العديد من العملاء هم :

- عاملون على مسؤولياتهم .
- مواطنون لبلاد اخرى ويقيمون فيها .
- اناس وقعوا ضحايا للرشوة او الابتزاز او الإغواء .
- أشخاص استعيروا مؤقتاً من ادارات او وكالات اخرى .

وهذا يعني انهم قد يكونون خطراً على الأمن القومي ، فالعملاء قد يقعون في قبضة الأعداء ، وآخر ما يتمناه أي انسان هو ان تعرف الكي / جي / بي مثلاً مقدار ونوع القرطاسية المستعملة في رئاسة المخابرات البريطانية . وعلى أيّ حال فقد يبدو من السخف الى حدٍ ما جعل عملاء (من المفترض انهم سريون) يشاهدون وهم يدخلون الرئاسة او أي مكان قربها ، سواء كانوا بشوارب مستعارة ام لا .

كما ان من غير المرغوب فيه ان تقابل أي عميل او ان يُعرف عنك بأنك قد قابلته ، ولكن مع ذلك فقد يكون من المفيد ان تعرف شيئاً عن هذا النوع من البشر .

غالباً ما يكون العملاء أناساً متواضعين غير مدّعين ممن يرغبون سراً في تجاوز المباني بقفزة واحدة ، للابتعاد عن عيون من يعمل تحت امرتهم من ناحية ومن يعملون في المكتب الرئيسي الـذين يواصلون التدخل في شؤونهم من ناحية اخرى ، وعادة يشعرون بأن مراجعهم لا تثق بهم (وهـذا صحيح) وان رؤساءهم لا يثقون بهم كـذلك (وهذا صحيح ايضاً) . ان مهاراتهم السرية تشتمـل على الـدهاء التجاري والاقناع والنفـاق والريـاء ، وعلى الاضـطرار لاتخاذ قـرار مفاجىء فوري ؛ ومعظمهم :

1) متهكّم ومتشكّك
2) متكيّف ومتشكّك
3) مبتهج ومتشكّك .

اما من ينجح في ان يكون متهكماً ومتكيّفاً ومبتهجاً دون ان يكون متشككا مفرطاً في الشك فإنه ناجح حقاً .

الجواسيس المستقلون :

هؤلاء قلما يعملون (هـذا ان عملوا على الاطـلاق) لمواطنهم الأصلية ، وعلى هذا فإن جاسوساً المانياً مستقلاً من المحتمل ألاّ يعمل إلا لبريطانيـا او امريكـا او الاتحاد السـوفييتي . كما أن الجـواسيس المستقلين الذين يحترمون أنفسهم لن يقدموا أية معلومات تضر مباشرة بأوطانهم ، اذ من المحتمل جداً ان تؤذيهم ان هم فعلوا ذلك .

ان جميع وكالات الجاسـوسية تستخـدم الجواسيس المستقلين ، وذلك لأنهم يعملون من اجل المال ، فلا بد وان يكونوا محترفين . كما أنهم مفيدون لنقل رسائل غير رسمية بين الوكالات المتنافسة ، مثل « تحيات الموسم » ، او « كل عام وانتم بخير » أو « لقد اعتقلنا احد رجالكم ، وستكلفكم استعادته مبالغ كبيرة » .

كما يجب ان يعلم القارىء ان هناك وكالات جاسوسية مستقلة ، غالباً في سويسرا ، تزود معلومات عن العقود لمنظمات الاستخبارات البريطانية والامريكية والروسيـة مثلاً وللصحف التي تتبـاهى بعمق تغطيتها العالمية .

ان العديد من الجواسيس المستقلين الإفراديين هم من اواسط اوروبا . ويتميزون بما يلي :

أ) احساس قوي جداً بالتشاؤم .

ب) اصابات متطورة بالبـواسير نتيجـة لجلوسهم على مقـاعد المتنزهات الباردة .

جـ) احساس بالارتباك والاضطراب من حين لآخر ، وفي أية لحظة بالنسبة لمن يعملون له ، (يجب ان نذكر ان شعوراً مماثلاً ينتاب في حالات كثيرة أية وكالة وطنية تستخدم اولئك الجواسيس في ذلك الوقت) .

نتيجة لذلك التشاؤم والارتباك والاصابة بالبواسير ، تكون حياة الكثيرين منهم قصيرة وتعيسة ، كما تجد عائلاتهم صعوبـة في تسلم تعويضات التأمين على حياتهم .

المواطنون المقيمون في الخارج

(وهم الذين قد يكونون مصادر للمعلومات) يعتبرون شجعاناً بصورة لا تصدق اذا كانوا يعملون لنا وخونة صغار بغيضين اذا كانوا يعملون لهم ، حتى لو كان الطرفان يعملان لأسباب مثالية ، فكل من وكالة الاستخبارات البريطانية والروسية تحاول جهدها لتحويل تلك المثل العليا الى حاجة للعملة الصعبة لعلمها ان الإيمان بكارل ماركس او بالماغنا كارتا قد يكون عابرا ، لكن حساباً مصرفياً في سويسرا هو لـلأبد . وفي الـوقت نفسه تحـاول وكالـة الاستخبارات المـركـزيـة (الامريكية) ان تحـول الحاجـة الى المال الى الإيمـان بالـديمقراطيـة وبالطريقة الامريكية .

على أن الأجانب يتجسسون على بلادهم لجميع انواع الاسباب (المختلطة) ومنها :

- الرغبة في الشعور بأنهم أصحاب شأن ولهم منافع .
- الرغبة في عمل شيء مثير من اجل التغيير .
- الانتقام لتجاوزهم في الترقيات .

ان الذين يكونون قد تعرضوا للرشوة او الابتزاز او الإغواء كثيراً ما يكون امتعاضهم فوق المعقول ، لكونهم قد تعرضوا لجميع هذه التجارب او لبعضها ، على ان بإمكاننا اعتبارهم ناكرين للجميل الى حد ما ، اذ من المحتمل ان يكونوا الملومين في المقام الأول ، ولا يفوّت محرضوهم أية مناسبة لتذكرهم كم هم محظوظون للعمل لوكالة لا تحقد عليهم بسبب طيشهم ، بل قد تتغاضى عن جشعهم وتجاوزاتهم - ما داموا يعملون ما يطلب منهم عمله ؛ ويجب على القارىء ان يقدّر ان عملاء كهؤلاء هم برهان حي (لفترة زمنية ، على اي حال) على الحكمة القائلة : « لكل انسان ثمنه ، وليس ذلك الثمن مالاً ، دائماً » .

كما ان هؤلاء العملاء ليسوا دائماً اسهل العملاء للتعامل معهم ، فالعديدون يستسلمون لنوبات مفاجئة من الانفعال او لفيض من الدموع ، وعادة يكون ذلك محرجاً جداً ولافتاً للنظر ، مما يضر بالعمل ؛ وفوق ذلك فإن شخصية متصدعة هي شخصية متصدعة وقد تجذب وكالات اخرى تكون قد اطلعت كذلك على ضعف الفرد .

أمّا العملاء المعارون بشكل مؤقت فليس من السهل تعريفهم ، اذ قد يضمون :

آ) اشخاصاً من ادارة حكومية اخرى او من وكالة صديقة .

ب) مدنيين مستخدمين لمهمة معينة .

ولا يُستخدمون في أيّ من الحالتين كما يستخدم العملاء الآخرون ، فمن غير المتوقع مثلاً ان شخصاً معاراً من وكالة الاستخبارات المركزية تتاح له الفرصة للاتصال بمصدر يكون عضواً في اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي السوفييتي ، وبدلاً من ذلك يستخدم المعار كناقل رسائل مثلاً او كحارس شخصي او لتنفيذ احدى المهام العرضية التي يجب ألا يكون لها أي ارتباط رسمي او حتى غير رسمي بالوكالة ، وهذه الحالة قد تشمل مدنيين ، كثيراً ما لا يعرفون بأن وكالة معينة هي مستخدمتهم الأصلية .

وكثيراً ما يشعر العملاء المعارون مؤقتاً بوطأة العزلة والضجر والعوز المالي ، لذلك فإن ارتباطهم بوكالة استخبارات يوفر لهم :

- الاطمئنان العاطفي نظراً لحاجة الوكالة اليهم .
- دخلاً غير خاضع للضريبة (رغم ان واحدة من اكثر مواضيع الجدال الحاحاً في بريطانيا هي فيما اذا كانت المبالغ المدفوعة للجواسيس خاضعة للضريبة ، وان كان الأمر كذلك ، هل ستصبح مصلحة الاستخبارات السرية مسجلة لدى مصلحة الضرائب ؟)
- فرصاً كثيرة للرحلات المجانية .

يُفهم ان هذا الطراز من علاقات العمل يعتمد على الحكمة القائلة : « أعطهم ما يريدون ، اعطهم ما هم بحاجة اليه وسيكونون مخلصين - الى ان يأتيهم عرض أفضل » .

كيف تعامل موظفي الوكالة

يجب ان ينال المحللون الاحترام الذي يستحقه انسان يعرف كيف يصل من روستوف الى بيرم دون المرور بموسكو .

إكسب ثقتهم بالموافقة مثلاً على رأي يقول بأن الهبوط الذي تم قبل فترة وجيزة في أسعار القصدير سيؤدي على الأرجح الى حرب تجارية بين ايسلندا واندونيسيا لإيجاد اسواق جديدة لحجر الخفاف .

سيطر بإثبات ان حجر الخفّاف الاندونيسي مخصص فعلاً لليابان حيث سيستعمل في صنع حيتان ضخمة تستعمل للتغرير .

كما ينبغي على المخططين ان ينالوا الاحترام الذي يستحقه إنسان قد يفهم نظرية الفوضى الشاملة في الرياضيات ويبدو من المؤكد انه يدير العمليات على هذا الاساس .

اكسب ثقتهم بمقدرتك على اقتباس أقوال دانتي باللغة الآرامية .

سيطر بأخذ شطائر محشوّة بالكمأة الى العمل .

أما الإداريون فيجب ان يقدم لهم الاحترام الزائف الذي يتوقون اليه سراً .

اكسب ثقتهم بالادّعاء بأنهم يعرفون كل ما يجري في وكالتهم .

سيطر بإعطاء الانطباع بأنك تعمل لمنظمة سرية الى درجة ان الوكالة لم تسمع بها .

وفيما يتعلق بالعملاء (مستخدمي الميدان) يجب ألاّ تُظهر لهم الاحترام فقط ، بل يجب ان تحترمهم فعلاً ، إذ باستطاعتهم ان يلحقوا ضرراً كبيراً بصحتك .

اكسب ثقتهم بأن تثبت بأسرع ما يمكن انك لا تشكل أي تهديد لهم بأية وسيلة ، وسيفيدك كثيراً ان تبدو بسحنة خالية من التعبير وتظهر ميلاً للهذيان بلطف .

أما بشأن السيطرة ، فلا تحاولها اطلاقاً .

الاستخبارات البريطانية

يعلم كل انسان ان مصلحة الاستخبارات السرية هي وكالة التجسس ، بينما M15 هي وكالة مكافحة التجسس ، على ان القارىء يجب ان يدرك ان مصلحة الاستخبارات السرية لا تقضي كل وقتها في توجيه الجواسيس ، بل انها تقضي وقتاً طويلاً ، وربما معظمه ، في تحليل المعطيات التي تحصل عليها من مصادر مكشوفة كصحيفة ، «أومْسكْ ايفننغ كُرُونِيكِلْ» . من الطبيعي ان هذه المعلومات ليست سرية بحدّ ذاتها لكن اهتمام مصلحة الاستخبارات السرية بها سرّي بالتأكيد .

كما ان مصلحة الاستخبارات السرية و M15 مهتمتان بالكي / جي / بي وبما تخططه ، وهذا يعني ان المصلحتين كثيراً ما تكرران نشاطاتهما ، وهو موقف قد يؤدي الى الاتهامات والاتهامات المضادة عند تناول الشاي في جلسات التشاور المشتركة .

نظرياً تعمل مصلحة الاستخبارات السرية في الخارج فقط بينما تعمل M15 في الداخل ، إلاّ ان أيّاً منهما لن تستطيع أن تقوم بعملها او توسع امبراطوريتها لو كان الأمر كذلك ، وهكذا تعمل M15 في الخارج اذا كان الأمر متعلقاً بشيء يحدث في الداخل بينما تعمل مصلحة الاستخبارات السرية في الداخل اذا كان الأمر متعلقاً بشيء

يحدث في الخارج ، وكل منهما تلوم الأخرى اذا أدّى ذلك الى الارتباك .

مصلحة الاستخبارات السرية

كانت المصلحة تُدعى M16 لكن ذلك الاسم جعلها تبدو أدنى درجة من M15 ، مما جعل معظم الناس (طبعاً باستثناء M15) يعتقدون ان ذلك أمر سيّىء ، على ان ما قد لا يعلمه الآخرون هو فيما اذا كان اسمها يعني :

آ) ان الاستخبارات سرية .

ب) ان المصلحة سرية .

بالحقيقة كلاهما صحيح ، فالاستخبارات سرية ، اذ يجب ألاّ يعلم احد ما الذي تُعنى به المصلحة او ما تحصل عليه . أما المصلحة فسرية ، إذ لا احد يجب ان يعرف أين هي ، وما هي .

على ان القارىء يستطيع بالطبع ان يذكر بأن :

آ) طفلاً في الثانية عشرة يمكنه على الأرجح ان يفهم ما الذي تُعنى به .

ب) معظم قرّاء روايات الجاسوسية يعرفون انها متمركزة في سنتشري هاوس في جنوبي لندن ، وان الشيء الوحيد المؤكد الذي يحدث هناك هو فحص الجثث بعد الوفاة .

لاحظ ان المصلحة تبدي تواضعاً جذاباً بعدم وضع لافتات كبيرة خارج مقرها تقول « مصلحة الاستخبارات السرية » ، على عكس وكالة الاستخبارات المركزية والكي / جي / بي . ومن المحتمل انها

تستعمل بنايات أخرى ليست كلها مجمعات ابنية حكومية رمادية تتظاهر بأنها فروع لوزارة الزراعة والأغذية ومصائد الأسماك .

اذا اشتبهت في أي وقت بأن مجمّع أبنية يأوي منظمة كمصلحة الاستخبارات السرية أو M15 فهناك طريقة مؤكدة للوصول الى الحقيقة :

- سِرْ مجتازاً المدخل عدة مرات خلال بضع دقائق ، بل تسكّع قليلاً ، واجعلهم يلاحظون انك تدون ملاحظات ، وعندها :

- إذا اقترب منك فجأة شخص ممتلىء العضلات وادعى انه يعرفك من اوكسفورد ، فمن الأرجح ان المجمّع يضم مكاتب لمصلحة الاستخبارات السرية .

- اذا ضغط شخص ما مسدساً الى ظهرك ، فمن المحتمل ان المجمّع يضمّ مكاتب تخص M15 .

- اذا طلب منك شخص ما ان تعبىء نموذجاً لاختبار درجة الذكاء ، فمن المحتمل ان المجمّع يضم مكاتب لوكالة الاستخبارات المركزية او لطائفة المعالجة العلمية او لشركة تأمين على الحياة .

- اذا صدمتك سيارة لادا فمن المحتمل أن يكون المبنى للكي / جي / بي .

ان الكلمة المؤثرة لدى مصلحة الاستخبارات السرية هي « الخدمة » ، وموظفوها يحفزهم احساس من مقتضي الشعور بالنُبل ، وهكذا هو الحال بالنسبة للكي / جي / بي ، بطريقتها الخاصة ، ولهذا فإن لدى الاتحاد السوفييتي جميع انواع المدارس المصممة لتنمية نوع النّبالة التي تنتجها بريطانيا حتى بدون تفكير ، كما

ان وكالة الاستخبارات المركزية ترغب في ان تكون لها نبالة ، ولكننا نجد في هذه الأيـام ان معظم خـريجي هارفـرد او ييل او بـرنستون يصبحون تجاراً داخليين مطلعين على أسرار وول ستريت ، وبدلاً من ذلك تعمل وكالة الاستخبارات المركزية على أساس الولاء :

أ) للديمقراطية

ب) للرئيس الامريكي الكائن آنذاك

جـ) للحلم الامريكي .

إن موظفي مصلحة الاستخبارات السرية ليسوا شيئاً إن لم يكونوا دهاة ؛ وقد تقول M15 بأنهم مخادعون ، وذلك لأن :

● عمل مصلحة الاستخبارات السرية يجتذب ذوي الأذهـان الحادّة .

● عمل المصلحة يعزز حدّة الذهن .

● عـدم تعلم المرء كيف يكـون حادّ الـذهن يؤدي الى عـدم استمراره طويلاً في المصلحة .

كثيراً ما تظهر المراوغة في حديث موظفي المصلحة ، وهي طريقة موجزة للتحدث :

- لا يقال فيها الكثير وخاصة للغرباء (أي لكل من هم ليسوا أعضاء في المصلحة) .

- يمر وقت طويل لا يقال فيه الكثير .

- ان التـوقف المتكـرر عن الكـلام ، ورفـع الحـواجب ورسم

الابتسامات الى غير ذلك مهمة كلياً كالكلام الفعلي (وقد تكون اكثر اهمية منه) .

بالنسبة لمن يودون تنمية طريقة تحدث منتسبي المصلحة لأنفسهم ، نقول ان القواعد بسيطة الى حدٍّ ما :

1) لا تصرح بشيء قط ، بل أشر اليه من طرف خفي فقط .

2) لا تعمد الى التحدي أبداً ، بل أثِر « نقطة بسيطة قد تكون لها صلة بالأمر » .

3 ـ لا تجعل الطرف الآخر يعرف ما يجول بخاطرك أبداً .

4 ـ أعطِ الانطباع بأنك تعرف اكثر مما تعرف .

5 ـ اذا اضطررت الى توجيه سؤال مباشر اعطِ الانطباع بأنك تعرف الجواب مسبقاً ، ان السؤال هو بالفعل نوع من اختبار الذكاء او الولاء .

6 ـ اذا اضطررت للاجابة عن سؤال احصر جوابك في مقطع او مقطعين مقتضبين .

7) لا ترفع صوتك ابداً ، لكن بإمكانك ان تظهر الحزن او الألم او الاهتمام او الغيظ .

ومما يستحق ان تتذكره ان هذا الاسلوب من الحديث يرجع الى حدّ كبير الى أن المنتسبين لمصلحة الاستخبارات السرية لا يعرفون ابداً ، ولن يستطيعوا ان يعرفوا اطلاقاً ، ان كان الشخص الذي يتحدثون اليه يعمل سراً لوكالة الاستخبارات المركزية أو الكي / جي بي ، أو M15 أو رئيس الوزراء ـ وربما للأربعة في الوقت نفسه .

من يديرها

اسمياً تتبع مصلحة الاستخبارات السرية وزير الخارجية الأمر الذي يُرضي وزارة الخارجية والكومنولث الى أبعد الحدود ، إذ انها تحب ان تعتقد بأنها تسيطر على المصلحة ، كما أن المصلحة سعيدة لأن تساير هذا الخيال ، لأنه يعني ان منتسبيها لن ينفوا الى مخازن السفارات البريطانية ؛ وفي نهاية الأمر فإن رئيس الوزراء هو الذي يرأس المصلحة او بالأحرى يتحمل المسؤولية عندما يحدث خطأ كبير ، ولكن لا يريد اي رئيس للوزراء او وزير للخارجية أن يعرف حقاً ما تنوي المصلحة ان تعمله ، فإذا عرف اي منهما ذلك ، فبأيّ وجه يستطيع مقابلة الزعماء الأجانب ؟ كما ان المصلحة ليست دائماً مندفعة لأن يعرف السياسيون الكثير عن نشاطاتها اذ :

أ) ربما يقولون « لا »

ب) ربما يتقدمون بأفكارهم المعتوهة بين الفينة والأخرى .

ج) ربما يحاولون استخدام المصلحة لأغراضهم السياسية الخاصة .

ان المصلحة في الواقع مسؤولة تجاه مجموعة صغيرة من الموظفين المدنيين الدائمين التي ربما تكون المجموعة الوحيدة في بريطانيا التي لديها فكرة تقريبية عما تفعله المصلحة و M15 ، وفيما اذا كانت كل منهما تفعله للأخرى .

كيف تتظاهر بالانتساب لمصلحة الاستخبارات السرية ؟

لقد أراد البعض أن يصبحوا عملاء تجسس مدى الحياة ، حتى انهم تحملوا المشقة لأن :

آ) يحسنوا التكلم بطلاقة بثلاث لغات أجنبية .

ب) ينضموا لأندية معينة .

جـ) يعملوا كمراسلين أجانب لجرائد رائجة .

د) يدفعوا الرشوة للانضمام الى نادي مارليبورك للكريكيت ، وذلك دون أن يفاتحهم احد بذلك .

حقيقة الأمر أنه في حين تعلن وكالة الاستخبارات المركزية عن حاجتها لموظفين دائمين ، فإن جميع الوكالات الأخرى لا يمكن الانضمام اليها دون دعوة ، ولا أحد يعرف معايير الاختيار .

على أنك اذا كنت محظوظاً لأن :

- تُدعى لمقابلة عمل من قبل وكالة تصدير للموظفين غير واضحة عما تصدره .
- تجري مقابلة مع شخص لا يظهر اسمه قط في أي دليل للهاتف في أيّ مكان ، او لا يطابق اسمه الحروف الأولى للاسم الذي على حقيبة يده .

ـ تجري مقابلة مع عقيد متقاعد لا تذكر النبذة الخاصة به في كتاب « الاعلام » ما الذي كان يعمله خلال الخمسة عشر عاما الماضية .

فمن المحتمل ان مصلحة الاستخبارات السرية او M15 تسعى لتصيّدك للعمل .

اذا نجحت في الوصول الى احدى الوكالات تذكّر انك هناك مدى الحياة ، إذ لا أحد يترك عملِ الجاسوسية او الأمن بالفعل ، والحقيقة انه من الصعب جداً ان تُطرد من مصلحة الاستخبارات السرية او من M15 اذ يعتقدون انك قد تصبح خطيراً جداً وتبلغ كل شيء للروس او اسوأ من ذلك للفرنسيين ، أو حتى اسوأ من ذلك بكثير لأحزاب المعارضة . واذا لم توفق في أن تصبح موظفاً دائماً فقد يطلب منك ان تساعد بين الحين والآخر ، وفي حين يكون ذلك امراً ممتعاً إلاّ أنك قد تنتظر طويلاً قبل ان تسترد ما أنفقته .

لنفترض انك لا تريد إلا أن تعطي الانطباع بأنك من المتسبين حقاً ، فإنك تواجه بالخيار التالي :

1 ـ اعطاء انطباع بأنك من موظفي المكتب الرئيسي .
2 ـ اعطاء انطباع بأنك عميل ميداني .

ملاحظة : لا أحد يريد أبداً ان يعطي الانطباع بأنه يعمل للكي / جي / بي كعميل ميداني أو بأية صفة كانت لأنه كعميل ميداني مزعوم (او حقيقي) يجب عليه ان :

أ) يتحدث الانكليزية بنبرة هولندية ملحوظة ، وهي عادة نبرة الروسي الذي يحاول التحدث بنبرة كندية ، كما يحاول معظم وكلاء الكي / جي / بي أن يفعلوا .

ب) يستعمل بطاقة ائتمان الاميـريكان اكسبـرس لكل شيء بصورة مطلقة .

كما انه ليس من الأسهل ان يكون الانسان عميلاً مزعوماً (او حقيقياً) لوكالة الاستخبارات المركزية اذ سيطلب منه أن :

آ) يحمـل طوال الـوقت قرصـاً لتلقي الرسـائل عبـر الأقمار الصناعية .

ب) يتحدث الانكليزية بنبرة غريبة .

ان ايا من هذه الأمور أو كلها ، قد تجعل المرء عُرضة للنظر او مُعسراً او هدفاً للسخرية بين اصدقائه .

كما يجب ان يكون القارىء مطلعاً على المشكلة الكامنة بادعائه الانتساب لأية وكالة ، إذ قـد يصدقـه الناس ـ حتى اولئـك الذين يفضلون بألاّ يصدقوه ، فمثلاً اذا نجح الانسان في جعل الآخرين يعتقدون انه عضو في :

- الكي / جي / بي ، فقد يواجه تأخيراً طويلاً في مطار ملقة .
- وكالة الاستخبارات المركزية ، فقد يمنع من دخول اسبانيا .
- مصلحة الاستخبارات السرية ، فإن M15 قد تحاول استخدامه .

وسواء اراد المرء ان يعطي الانطباع بأنه موظف في المكتب الرئيسي او عميـل ميداني فيجب عليـه ان يتعلم تنميـة بعض النـواحي السلوكية بالنسبة للعملين ، مثلاً :

1 ـ رفض الجلوس وظهره الى الباب .

2 ـ فترات غياب مفاجئة لا تفسير لها .

3 ـ هاجس بموضوع غير مناسب الى حد كبير ، كتحديد أماكن ضفادع الطين .

وبمجرد ان يكون المرء قد اتقن هذه الأمور الجوهرية ، يمكنهُ ان يضيف اليها تلك الخاصة بأحد هذين المركزين او بالآخر ، كما يلي :

العميل الميداني

● تلقي مكالمات هاتفية غامضة .

● اظهار اعراض اجهاد عقلي او جسدي مفرط ، بين حين وآخر ، كالانبطاح تحت الطاولة عندما يصيح صاحب المنزل مذكراً بأن موعد دفع الإيجار قد حان ، ثم التظاهر بالبحث عن حبّة فول سوداني كانت قد سقطت .

● دفع ثمن ما شربه من الجلّاب بعملة اجنبية (اوروبية شرقية) بطريقة تدل على شرود الذهن ، والإصرار على أن تلك العملة احضرها معه في آخر عطلة قضاها في الخارج بينما يعرف الجميع ان جليسهم كان من المفروض أنه يتنزه في سكوتلندا .

● رفض التورط في شجار جسدي (ويعود ذلك بالطبع الى عدم الرغبة في كشف الهوية بإسقاط الخصم بضربة واحدة) .

موظف المكتب الرئيسي

● اجراء مكالمات هاتفية غامضة .

● ادخال بعض الحقائق الخفية في التحدث عن الجاسوسية مثل :

آ) كانت الامبراطورية البيزنطية تتباهى بأن لديها وزارة كاملة

مكرسة للجاسوسية والأمن الداخلي .

ب) كان ماركو بولو أشهر جواسيس جمهورية البندقية .

جـ) كان اكبر (حـاكم مغولي للهنـد) يستخدم اربعـة آلاف عميل سري ، ويتلقى ملخصاً استخبارياً كل يوم .

د) نالت الاستخبارات العسكرية البـريطانيـة تنويهـاً بالتفـوق لاعتنائها الممتاز بالحمام الزاجل اثناء الحرب العالمية الأولى .

ولكن يجب الا تُـذكر ايّ من هـذه الحقائق عنـد الحديث عن الجاسوسية نفسها ، بل يجب الانتظار الى ان يتحول الحديث ـ في هذه الحالة ـ الى تركيا او الهند او ايطاليا او الطيور .

● اذا سئل المرء إن كان منتسباً لإحدى وكالات التجسس ، عليه ان يتخلص من السؤال بـالقول : « أفضـل الاّ نتحـدث عن هـذا الموضوع ، اذا لم يكن عندكم مانع » ، ثم يلفت انظار السامعين اليه وهو يسجل أرقام سياراتهم .

● معرفة عدد وحدات الزلوثي (العملة البولندية) التي تساوي الجنيه .

● معرفة ما هو الزلوثي .

كما يجب ألا ينسى المرء أنـه وبغض النظر عن الشخصيـة التي ينتحلها ، اذا ما تطرق الحديث الى الأساس الذي تبرر المصلحة عليه وجودها (عادة يوجه سؤالاً كهذا شخص يرى ضبط تداول النقـد للتحكم باقتصاد البلد ، او شيوعي من اتباع تروتسكي او شخص من المتسبين لـ (M15) فإن الرد المثالي هو ان المصلحة قد تجاوزت نقطة

الحاجة لتبرير وجودها ، وأنها حقيقة غريبة من الحياة المعاصرة ، على ان يقال ذلك بطريقة فكهة منتقصة للذات ، واذا ما تجرأ أي انسان بأن يلمح الى ان الجاسوسية مضيعة تامة للوقت فيجب على المرء أن :

- يحملق مشدوها بالمجرم .
- يسمح لنفسه بعد بضع ثوانٍ بابتسامة عابرة ساخرة .
- يتمتم شيئاً يدل على انه لم يكن يعلم بحضور أحد الخبراء .
- يتوقف عن المشاركة في النقاش ليحملق في الفضاء البعيد كما لو كان يستعيد الى الذاكرة انتصارات او كوارث ماضية .

كما يجب ان يلاحظ القارىء ان النقاط التالية ستكون متطرفة في محاولة تعزيز اوراق الاعتماد :

أ) الترصد في أيّ مكان (لا تشجعه مصلحة الاستخبارات السرية إلا لعملاء وسط اوروبا الذين لا يعرفون طريقة اخرى للحركة) .

ب) الترنح والعرج .

جـ) ارتداء معطف واقٍ من المطر وقبعة مترهلة (لا ينطبق على الاناث) .

د) وضع عقد مزدوج من اللؤلؤ (لا ينطبق على الذكور) .

هـ) الاشارة لوكالة الاستخبارات المركزية بعبارة « أبناء العم » ، التي تعتبر الآن (العهد البائد) .

و) الاشارة الى الكي / جي / بي ولفظها بطريقة ملتوية .

ز) الادعاء بفهم مؤامرات الآخرين .

M 15

كان الاسم يرمز الى الاستخبارات الحربية (القسم) 5 ، ويعود ذلك الى الأيام التي كان العسكريون ورجال الشرطة يقومون فيها بأعمال الأمن والاستخبار بصورة فعالة . وما يجب ان يعمله القارىء ان الفرق اليوم هو ان العديدين من المتسبين الى M15 هم من العسكريين السابقين لا العاملين ، بينما هناك عنصر الشرطة في الفرع الخاص ، كما تُعرف M15 بعبارة « خمسة » أو « صندوق بريد 500 » (عنوانها الرسمي في لندن) او « ليكونفيلد هاوس » (مقرها الرئيسي في وقت من الأوقات) او « المضحكين » (يستعملها عادة اناس لديهم ما يخافونه) وبنفس المزاج كثيراً ما يشير موظفو M15 الى المنتسبين لمصلحة الاستخبارات السرية بعبارة أصدقاء ـ وهي في منتهى التهكم .

حتى مسودة تشريع تشرين الثاني (نوفمبر) 1988 كانت M15 تتمتع بوضع سعيد يشير الى انها غير موجودة ، وبما انها لم تكن موجودة ، لم يعرف احد :

- ما الذي كان مفروضاً ان تعمله ؟
- كيف كانت تعمله ؟
- من أين كانت تعمله ؟
- ما مقدار نجاحها ؟

وكل هذه النقاط اثارت حسد الدوائر الحكومية الأخرى التي تمنت لو انها كانت في ذلك الوضع الرائع ، أما اليوم فإن معظم الناس

يعرفون ان M15 مسؤولة عن حمايتنا من :

- التجسس
- التخريب
- التهديم
- الإرهاب

يجب ان نلاحظ ان النقاط الثلاث الأولى هي مجرد جرائم عندما تهدد أمن الدولة ، وان الدولة تقرر متى يكون الأمن مهدداً بالفعل ، ويستطيع المرء ان يدعي ان ذلك يعود الى ان هناك مناسبات عندما تستطيع الدولة وحدها ان تقرر متى يكون أمنها مهدداً بالفعل .

من التهديدات التي تحمينا M15 منها نجد ان التجسس واضح المعالم ، كما أن التخريب والإرهاب يفسر كل منهما نفسه بنفسه ، أمّا المشكلة فهي في « التهـديم » اذ ان القليلين جـداً يعـرفـون معنى الكلمة . ولعلّ من الأفضل بأن نفكر بأن التهديم هو « التطرف » - ولكن ليس بالضرورة الى حد التخريب او الارهاب ، وعادة دون ان يصاحبه الضجيج والدم والأذى المتعمد ، وقد يكـون ايضاً محـاولة اقناع شخص ما بأن يكون خائناً لبلاده او ان يرتكب عملاً غير قانوني ضدها ، كما قد يكون احد الأمور التالية :

- تشجيع الاضرابات لأغراض سياسية خالصة .
- تنظيم مظاهرات سلمية .
- اظهار عدم المودة للعائلة المالكة .

وهناك ثلاثة اعتبارات لتحديد ما اذا كان العمل هداماً بحيث يبرر اهتمام M15 :

1 ـ القصـد (هل المظاهرة المتـواضعة المخـطط لها هي مجـرد « تجربة » لأعمال تجري فيما بعد ؟)

2 ـ العمل نفسه (كم هو ضار بالحقيقة ؟)

3 ـ النتيجة (هل ستطالب وسائل الاعلام باتخاذ اجراء ما ؟)

يجب ألا ننسى بأن M15 ترى ان كل شخص هو هدام الى حد ما ، كما يجب ان نتذكر كيف يعمل الاهتمام والمراقبة معاً ، كما هو الحال مثلاً بالنسبة للحركات السياسية المشروعة فإن اعضاء الحملة لنزع الاسلحة النووية كثيراً ما يغتاظون (او ربما يبتهجون سراً) عندما يظنون بأن M15 تراقبهم ، وهؤلاء النشطون قد يحز في نفوسهم ان يعرفوا بأن M15 ليست مهتمة بهم كاهتمامها بمن قد يحاولون تحويل الحملة الى حركة عنيفة ؛ على انه اذا صدقنا جميع من يدعون ان M15 تراقبهم فإنها ستحتاج الى عشرين الف شخص بدلاً من عدد المنتسبين الحاليين الذين لا يتجاوز عددهم الفي شخص إلا قليلاً .

كيف تعمل ؟

داخل M15 توجد اقسام منفصلة تتولّى معالجة :

- الاتحاد السوفييتي وحلف وارسو .
- الجيش الجمهوري الايرلندي .
- جماعات الإرهاب الأخرى ، كجماعة ايلول الأسود ومتذوقي الجعة المعتقة .
- التدقيق الأمني .
- أمن الاسرار التجارية والصناعية الهامة الممنوعة على الجمهور

(وخاصة فيما يتعلق بالصناعة الحربية) .

ـ تدريب الاصدقاء الأجانب .

وهناك غيرها ، ولكن هذه هي الأهم على وجه العموم .

التدقيق الأمني

كل من له اتصال بالمعلومات السرية يجب ان يُدقق أمنياً أي يحكم بأنه :

آ) ليس غير متوازن .

ب) ليس متعاطفاً مع قطر اجنبي (أي قطر اجنبي) اكثر من تعاطفه مع بلاده .

جـ) ليس معرضاً للابتزاز .

يجب ان نلاحظ نقطتين :

1 ـ ان التدقيق الأمني يؤكد ما لم يفعله الانسان ، وليس ما قد يفعله .

2 ـ كان الابتزاز يشمل أشياء يخجل منها الانسان أما الآن فإنه لا يشمل إلا الأشياء التي تؤدي الى السجن . ان القسم الكبير من عملية التدقيق الأمني يقوم به ضباط سابقون في الجيش أو رجال شرطة متقاعدون ؛ واذا ما تعرض الانسان للتدقيق الأمني فيجب ان يحذر اسئلة قد تبدو بسيطة مثل : « هل تتناول القهوة من غير حليب او كريما ؟ » (انه يحاول ان يكتشف ان كان المرء يقاسي من آثار بغيضة ناتجة عن الإسراف في الشراب : أي هل يشرب) ولسوء الحظ هناك ايضاً سؤال يدين المرء كيفما أجاب : « هل تحب النساء ؟ » (ان كان

الرد بالنفي فقد يكون محباً للغلمان ، أما إن كان الرد بالإيجاب ، فإنه هدف هين للابتزاز) . ليس لدى من يقومون بالتدقيق الأمني إلا القليل من روح الدعابة ، هذا ان كان لديهم شيء منها على الاطلاق . ومن ناحية اخرى فمن المستحيل تقريباً ان المرء مذنب بشيء ما ، لذلك من الأفضل ان يعترف بالقليل من الآثام الطفيفة لمجرد اراحة ضمائرهم .

الأمن الصناعي او التجاري :

كما تكتشف الشركات التجارية ، حالما تمتلك شيئاً يعتبر حيوياً للبلاد يصبح في حالات كثيرة مملوكاً جزئياً للبلاد ؛ ان هذا يعني ان اناساً غامضين من M15 يهبطون على الشركة المعنية للتأكد من ان السر لن تسرقه :

آ) دولة اجنبية
ب) شركة اجنبية
جـ) اليابان

(ان اليابان في رابطة خاصة بها ، إذ انها لا تشكل أيّ تهديد عسكري ، لكن نشاط اعمالها موجود جزئياً لتنفيذ السياسة الخارجية اليابانية) .

ان زيارات كهذه يقوم بها المنتسبون لـ M15 هي مصدر خيبة أمل عميقة ، اذ ان مؤسسة مكافحة التجسس والارهاب هذه لا تستطيع ان تصدّق ان المدنيين لا يستطيعون ادراك الحاجة لوضع شرائط الآلة الكاتبة واقراص معالج الكلمات في خزانة مُحكمة الإغلاق وابتلاع مفتاحها ، والمدنيون لا يمكنهم ان يفهموا الحاجة لعدد من الرجال

يدعون « سميث » يصرون على معرفة ما كان اجداد منظفي المكتب يعملونه في حرب البوير .

تدريب الأجانب الغرباء

من المعلوم ان بريطانيا كانت تحافظ على امبراطوريتها بصورة رئيسية بإقامة زمر حاكمة من اهل البلاد في مستعمراتها ، تدعوها مرة على الأقل لمقابلة الملكة فكتوريا ، أما في هذه الأيام فإن بريطانيا تساعد في المحافظة على نفوذها بتدريب المنتسبين لمؤسسات اجنبية تماثل M15 (كما تفعل الأقطار الغربية الأخرى كالولايات المتحدة وفرنسا) .

على ان بريطانيا تعرف جيداً ان الأجانب لا يظلون اصدقاء دائماً ، ولهذا فليس من المحتمل ان يكون للدورات التدريبية الأثر البالغ ـ بإستثناء بعض المبادىء الأساسية كوضع الاشياء في خزائن وادراج مقفلة ، وفي فهرسة البطاقات والتعقب الأوّلي ، والنتيجة هي ان أي شرطي اجنبي يصر على قيادة سيارته في بلاده في الجهة المخالفة من الطريق او يعيد فهرسة مشبوهي بلاده باللغة الانكليزية او يظهر ميلا لوضع كل شيء في ادراج مكتبه ويقفلها ثم يفقد المفتاح ؛ مثل هذا الانسان من الأرجح ان يكون قد تلقى تدريباً في بريطانيا .

كيف تتعامل مع المنتسبين الى M15 ؟

العسكري ، السابق : (له شعر أشعث الى حد ما ، مولع بلبس الجزم ، مكانه الطبيعي المفضل : ويلتشاير أو دورست) .

كيفية التعامل معه

ـ اجعل لك شارباً رفيعاً كفرشاة الأسنان (يشمل النساء) .

- تمرن على وقفة التهيؤ .

- كن عاطفياً الى حد كبير تجاه الكلاب من فصيلة اللبرادور .

رجل الشرطة السابق (يرتدي بزة من قطعتين مع دبوس اندية الروتاري على ثنية صدر السترة ، وقميصاً أبيض ، وحذاء اسود ملمعاً وربطة عنق خفيفة مخططة مصنوعة من البولياستر) .

التعامل معه :

- اشر الى المشبوه بعبارة « الصاحب الودود »

- دعه يسمعك يقول أتمنى لو ان كل شخص يستطيع ان يرتدي الزي النظامي مرة في العام على الأقل .

- لمع حذاءك كلّ ساعة ، عند انقضاء الساعة تماماً .

عضو M15 الناشيء محلياً

(يبدو كأي انسان آخر ، فانتبه) .

كيف تعامله ؟

ليعرف أنك صديق شخصي حميم لعصابة عنيفة مميزة في جنوب لندن .

فن الصنعة

يشمل فن الصنعة جميع فنون الصنعة ومهاراتها وحيلها ، وكلّ من يعمل في التجسس أو مكافحة التجسس في أية صفة كانت يفخر بصورة متمادية بفن الصنعة ، الذي يجعله مختلفاً قليلاً عن أي شخص آخر ، كما انه يوهم الكثيرين بأنهم يتعلمون مهارة سوف تنفعهم اذا ما عادوا للحياة المدنية .

على أنه لا بد للقارىء من ان يعلم أنه في حين قد تختلف مسميات وسائل البراعة الفنية من قطر الى قطر ، ومن وكالة الى اخرى ، فإن المبادىء تظلّ نفسها ، اذ ان فن الصنعة يعتني بكيفية قيام المرء بالتجسس دون ان :

آ) يقبض عليه ،

ب) يقتل ،

جـ) تكشفه صحف الأحد .

هناك عدة كتب ملأى بتلك الكلمات والعبارات القصيرة التي تميز بين الهاوي والمحترف ، لهذا يجب ان يركز القارىء على نواحي فن الصنعة التي لا تتحدث عنها روايات الجاسوسية ، ويعود ذلك عادة الى ما يلي :

- ان المؤلف لا يعرفها ،

ـ ان المؤلف لا يود ان يعترف بأنه يعرفها ،

ـ ليس لها مكان في حبكة الرواية .

على ان القارىء يجب ان يعلم مثلاً :

● ان افضل طريقة للاقتراب من اجتماع سري يعتقد انه قد تعرض للشبهة (أي ان الطرف الخطأ يعرف عنه) هو عدم الذهاب ، بل بدلاً من ذلك إرسال شخص يمكن الاستغناء عنه .

● لاقتفاء أثر مشبوه واحد في مدينة مثل لندن لمدة 24 ساعة يومياً يلزم على الأقل عشرة اشخاص ، بالإضافة الى ثلاث سيارات في أي وقت ، سيارات تغيّر كل اربع ساعات ، وتكون احداها شبيهة بسيارة تكسي او سيارة اجرة صغيرة .

ولكن الأهم من ذلك هو ان تعرف عن معاملة المصادر ، كما يفعل العملاء ، وهذه أهم مهارة على الاطلاق ، والقليلون من خارج عالم الجاسوسية ومكافحة الجاسوسية يعرفون شيئاً عنها .

معاملة المصادر

ان معاملة المصادر هي فن معاملة شخص ما لديه معلومات تحتاج اليها ، او شخص لا يرغب في إعطائك المعلومات ، أو شخص لا يعرف اصلاً أنك تريد المعلومات ، فالمصدر اذن هو أي شخص او اي شيء لديه معلومات تريدها ، وقد يكون :

غير فعّال : غير عارف ان لديه معلومات ، أو مدى اهميتها ، وقد تشمل هذه الفئة مستنداً او آلة ـ اذ يفتقران الى الوعي ـ كما قد يكون (أحد الكتبة او الطابعين) .

فعالاً : يعرف الى حد كبير اهمية المعلومات (كسكرتير عـادي خاص) .

مدركاً : بأنه يعطيك معلومات .

غير مدرك : بأنك مختلف عن زميل رفيف وانك تستطيع احياناً ان تكـون مستمعاً متعـاطفاً لقصص عن الأخـطاء التي حـدثت في المكتب .

ان العديد من الوكالات تعتبر غير الفعال كغير المدرك ، والفعال كالمدرك ، لكن يجب ان تصر على الفروقات بين الأربعـة ، إذ انها أدهى بكثير ، كما انها اكثر دقة ، أذكر ان المصدر المثالي غير فعال وغير مدرك في آن واحد ، كوثيقة وجدت (ونسخت بسرعة قبل اعادتها) في جيب أحد اعضاء الكي / جي / بي السكارى الذي اغمي عليه بمنزله في موسكو .

من المحزن ان قضايا كهذه نادرة ، إذ ان اكثر المصادر عادة :

- تقاسي من المغالاة في قيمتها الذاتية .
- مصممة على ان تُحبَّ لذاتها وليس فقط للمعلومات التي تمتلكها .
- مقتنعة بأن كل انسان ضدها .
- طافحة بالذنب .
- جشعة
- مصممة على نوع من الانتقام
- وقحة ومستاءة ، اذ ابتُزّت أصلاً لتصبح مصادر معلومات .

كما يجب ان تعلم ان جميع المعلومات الآتية من مصدر ما تصنف حسب :

أ) مقدار التعويل على المصدر .

ب) احتمال صحة المعلومات

حـ) مقدار التعويل على معامل المصدر ، أي العميل .

هذه طريقة اخرى للقول بأن لا احد يثق بأي انسان أو بأي شيء ، فحتى لو فرضنا ان ضابطاً كبيراً من الكي / جي / بي اتصل بمصلحة الاستخبارات السرية وعرض ان يبلغها كل شيء لأنه قد اصبح يحب الصدق والديمقراطية واحتفال تغيير الحرس الملكي ؛ فإن معلوماته ستظل مشبوهة دائماً ، على الأقل من قبل البريطانيين الذين يميلون لأن يكونوا اكثر واقعية وشكّاً في طبيعة الدوافع البشرية من نظرائهم الامريكيين ، ولكنهم ليسوا شكاكين بقدر تشكك الفرنسيين .

وهكذا ، نظرياً ، فإن المصادر تتكون من عدة انواع مختلفة ، ويمكنك ان تختار من :

1 ـ الذين يسعون لإرضاء الذات .
2 ـ الذين يطلبون السلوان .
3 ـ الذين يريدون وضعاً اجتماعياً متميزاً .
4 ـ الذين يحتاجون الى المال
5 ـ الذين يحتاجون الى الحافز
6 ـ المخادعين بطبيعتهم .
7 ـ الذين تم « إقناعهم » (عن طريق الابتزاز مثلاً) .

8ـ الذين يعتقدون انهم يعملون الشيء الصحيح حقاً .

لا بد وأن ندرك ان عدة مصادر هي دمج لاثنتين او اكثر من الفئات المذكورة اعلاه ، فالمصادر الطيبة قد تخفي شكوى عميقة ، أما المصادر الرديئة فقد تظهر رغبات مؤثرة في القيام بأعمال نبيلة ، وقد يكون التعامل معها صعباً جداً ، كما يجدر بالقارىء أن يلاحظ ان معظم المصادر ، في بعض الأوقات :

- تبرز صوراً لعائلاتها
- تجري الدمع مدراراً .
- تكذب في اشياء صغيرة سخيفة ، كأسمائها .
- تعرق كثيراً .

وأي مصدر لا يقوم بأيٍّ من هذه الأمور من المحتمل ان يكون مدسوساً ، أما من يقوم بشيء منها فهو إما يكون باحثاً عن اعادة التطمين او عن المزيد من النقود ، على انه يجب الاعتدال في دفع المال ، مع امكان تقديم اي مقدار من اعادة الطمأنينة .

ان الكي / جي / بي تنزل كل شيء الى مستواه الاساسي (النقود) فحتى لو دخل شخص ما الى السفارة الروسية واقسم انه ماركسي سري منذ سنين فإن الكي / جي / بي ستصر في وقت ما على أن يقبل نقوداً مقابل خدماته ، اما الامريكيون فيودون ان يثقوا بأن مصدرهم يؤمن حقاً بالديمقراطية ويكافئونه بكرم على ذلك ، كما يحاول البريطانيون ان يحصلوا على اكثر ما يمكن . (**ملاحظة**) : ان الكي / جي / بي يحفزها :

آ) الولاء لروسيا الأم

ب) الولاء للكي / جي / بي
جـ) حق الدخول الى متاجر خاصة .

وبهذا الترتيب ؛ أما المثالية فلا دخل لها في الأمر ، على ان اكثر ما يُقرُّ به كبار مسؤولي الكي / جي / بي في هذه الأيام هو احترام خجول للاشتراكية ، (بعد التعرف على اخطائها) .

وبهذا فإن المتعامل مع المصدر هو الذي يكون على اتصال مباشر بمصدر فعال ، وهذا قد يكون او لا يكون الشخص الذي جند المصدر اساساً ـ ولو ان المصدر لا يعرف دائماً بأنه قد جُنّد .

صحيح ان رابطة عاطفية قد تنشأ بين مصدر المعلومات والمتعامل معه . ان الكي / جي / بي تصر على ذلك، ولكن الروس ميالون لأن يكونوا اكثر عاطفية بشأن الأمور على ان اكبر عقبة للتعامل مع المصادر بنجاح تكمن في « خبراء » المكتب الرئيسي ، ويجب ان نشير الى ان توافقاً بين البيروقراطية الزاحفة وسياسة « المراكز للاختصاصيين » في المكتب الرئيسي أدت الى وفرة زائدة من علماء النفس (معظمهم سلوكيون ، غامضون دائماً) وعلماء الاجتماع ومختلف التابعين الطفيليين ، وكلهم رجال مكاتب مصممون على ان يعامل المصدر حسب معرفتهم المتفوقة ، مما يجعلهم يشعرون بانغماسهم بالموضوع وبأهميتهم ، على ان المتعاملين مع مصادر المعلومات سرعان ما يتعلمون اهمال الحالات الغريبة جداً من جموح الخيال لدى هؤلاء المحاربين من مقاعدهم الوثيرة كقولهم : « ان كلمة المفتاح التي يجب ان تستعملها في معاملاتك مع هذا المصدر هي « قرصة معجنة » اذ ان اللمحة النفسية لحياته سوف تذكره بطفولته وتساعد على تنمية اتكاليته العاطفية ، وان امكنك ذلك ، خذ بعض تلك المعجنات معك عند

اجتماعك القادم به » فيعمد المتعامل مع المصدر الى القهقهة بشأن عمله ، متأكداً من أن هذا المصدر المحدد يعتمد عليه للبقاء ساكتاً عن بعض حالات الطيش التي قد تؤدي به الى السجن لفترة طويلة ، أو يؤدي به في أي حال لاتباع نظام حمية .

من البديهي في التعامل مع مصادر المعلومات ان جميع المصادر تكذب كذلك من البديهي ان جميع المتعاملين مع المصادر :

آ) يظهرون بأنهم يصدقون الكذبة

ب) يظهرون بأنهم لا يصدقون الكذبة

من الأمور الحيوية الاحتفاظ بمقبض السوط ، لأن خلاصة التعامل مع المصدر هي السيطرة ، والمتعامل الناجح مع المصدر يجب ألا يفقدها ، وألا يسمح للمصدر بأن يدرك مقدار فائدة المعلومات (او عدم فائدتها) .

وفي الوقت نفسه من المهم جعل المصدر يشعر بأهميته ، ووسائل التوصل الى ذلك تختلف من قطر الى آخر ، ويعتقد الروس اعتقاداً راسخاً بإهداء مصادرهم الأوسمة وترقيتهم داخل الكي / جي / بي ؛ بالطبع لا يستطيع المصدر ان يتقلد أوسمته ، او ان يرتدي زي الكي / جي / بي ، الى ان يهرب الى موسكو حيث يمكنه الاختلاط بمصادر الكي / جي / بي السابقين ويقارن بين الأوسمة وشارات الرتب ، اما البريطانيون فيؤمنون بالسماح للمصدر بأن يدرك ببطء أهميته ، وعند ذلك، فإن المصدر سيحاول جهده لأن يجعل المتعامل معه يقر بأن المعلومات المقدمة أساسية ، على ان المتعامل يجب ان ينكر الأمر ، وذلك بنقص معين من الاقتناع ، أي ان يسمح للمصدر بأن يأمل بأنه عضو مقدر وموثوق به في الفريق ، وتعود هذه الطريقة

البريطانية الى ان المصدر الذي يعلم مقدار اهميته يكلف الكثير من المال دائماً ، وفي هذه المناسبات عندما يعرف المصدر حقاً مقدار اهميته ويريد ان يُدفع له بموجب ذلك ، فإن لدى البريطانيين وسيلة اساسية واحدة : بيعه للامريكيين .

اذن فالقواعد هي :

1 ـ جعل المصدر يشعر بأنه هام وله مكانته ، الى ان تبدأ معلوماته بالجفاف ، وعندها يستحسن القيام بما يلي :

2 ـ تهديده بكشف امره .

3 ـ التظاهر بقبول حوافزه المعلنة حتى لو عرف المتعامل معه انه يكذب دون خجل .

4 ـ يجب ألا يُطلب أي شيء هام جداً من المصدر في البداية ، بل يجب السير بالأمر ببطء الى ان يكون انسحاب المصدر قد فات أوانه .

5 ـ عندما يضطر المتعامل الى ان يضغط على المصدر فيجب ألا يبدو ذلك الضغط صادراً عن المتعامل ، بل عن تعليمات الرؤساء « في المكتب » .

يجب ان تعقد الاجتماعات مع الوكلاء دائماً في الأماكن التي تسبب أقل قدر من الريبة ، أو على الأقل من الإحراج لكل من المصدر والشخص المتعامل معه اذا قبض عليهما ، ولهذا السبب فليست فكرة جيدة ان يعقد الاجتماع في :

آ) سفارة المصدر (قد تكون هناك صعوبة في الخروج منها) .

ب) وسط منتـــزه (من الصعب معـرفـــة اذا كـــان الشخص مراقباً) .

جـ) موقف سيارات تحت الأرض (يسبب الكثير من الكآبة)

د) مرحاض للرجال (كريه الرائحة) .

بدلاً من ذلك يجب ان تعقد الاجتماعات في اماكن يستطيع فيها الطرفان الاختباء من الجمهور ، مثل :

- قاعات الحفلات الموسيقية
- قطارات المسافات البعيدة
- عبّارات الركاب
- المطارات
- الميادين الرياضية
- الحمامات التركية .

يعتبر سؤال المصدر إن كان أحد قد تعقبه الى مكان الاجتماع ساذجاً الى حد ما ، فإن كان احد قد تعقبه فإنه قد لا يكون لاحظ ذلك ، او قد لاحظه فذهب الى مكان آخر . ان المتعامل الذكي مع العميل السري يحاول دائماً أن يصل الى مكان الاجتماع مبكراً ، مما سيساعده عـلى أن يكتشف فيما اذا كـان على الكلب القـريب مكبر صوت مربوط حول عنقه ، وفيما اذا كان الولد الصغير الذي يلعب ببراءة هو بالحقيقة قزم قاتل ام لا ، او ان يشاهد شيئاً من مباراة لكرة القدم قبل ان يصل العميل ويخبره والدموع في عينيه بأنه فشـل مرة اخرى في الحصول على ما طلب منه تقديمه .

ان جميع المتعاملين مع العملاء ، الـذين هم عملاء كـذلك ،

يحتاجون الى نوع من الغطاء ـ سبب لوجودهم في ذلك المكان المعين من العالم في ذلك الوقت بالذات ، وفي حالات كثيرة يعني ذلك هوية مزورة وقد يسبب المشاكل . . . من الصعب جداً انتحال هوية اجنبية ، كما اكتشفت الولايات المتحدة مقدار خسارتها عندما ارسلت مئات العملاء الى الاتحاد السوفييتي في الخمسينات ، اذ ان مقدرة الانسان على انتحال هوية شخص اجنبي تعني معرفة :

أ) جميع النكات الجارية

ب) جميع الفروقات الاقليمية

جـ) جميع الألفة المبينة عبر سنوات العمر ، وفي حالات كثيرة دون دراية الانسان بها .

لقد اكتشف السوفييت ذلك منذ زمن بعيد ، وهذا هو السبب الذي ادعى لأجله العديدون من عملائهم في المملكة المتحدة والولايات المتحدة بأنهم كنديون ، إذ :

- كان من السهل الحصول على جواز سفر كندي (إذ ان كل ما كان يحتاجه الانسان هو ان يثبت انه بالحقيقة حي) .
- كان معظم العالم يعتبر الكنديين عموماً مأموني الجانب .
- يعرف كل من الروس والكنديين الكثير جداً عن الثلج ، وبهذا فإن وصفا يستغرق بضع دقائق لعاصفة ثلجية يهدهد اكثر الأذهان ارتياباً ويوصله الى حالة الشعور بالأمن .

أما اليوم فمن المقبول عموماً ان الهوية المزورة الصحيحة هي التي :

- تعترف بأن حاملها مواطن اجنبي

- تتيح له ان يسافر كثيرا
- تعطيه مبررا لأن يكون محباً للاستطلاع .

وبعبارة أخرى انها هوية تعطي تفسيراً معقولاً لتصرف الانسان الذي يبدو احياناً كتصرف العملاء .

ان الفئات التالية تبدو مثالية :
مأمور مبيعات متنقل من بلد الى آخر
صحفي
موظف سفارة او قنصلية
مؤلف
عضو وفد تجاري
سائح

اذا رغب الانسان بأن يوهم الناس بأنه مواطن اجنبي ، عليه اتباع قواعد اولية معينة ، فمثلاً اذا أراد القيام برحلة قصيرة الى المانيا الشرقية عليه ان يتأكد مما يلي :

آ) التخلص من جميع نقوده البريطانية .

ب) معرفة اسماء جميع رياضيي المانيا الشرقية الذين فازوا بأوسمة ذهبية في الألعاب الأولمبية الأخيرة .

جـ) ارتداء ملابس المانية شرقية .

د) اظهار الازدراء سراً بأي روسي يمر به الانسان .

هـ) الاصرار على مقابلة المصدر في أقرب مكان يستطيع الهروب منه والنجاة بنفسه ـ بغض النظر عما يقوله مسؤولو المكتب الرئيسي ،

وكل ذلك يفترض المقدرة على التحدث بالألمانية بلكنة ملائمة .

والمشكلة الرئيسية الأخرى المتعلقة بالتغييرات الكاملة في الهوية هي انها يمكن ان تصبح مربكة جداً ، كما يحدث في حالات عديدة للعميل المزدوج (الذي يعمل لجهتين) او للعميل الثلاثي الذي يتظاهر بأنه يعمل للجهتين ، بينما (يعمل في الحقيقة لواحدة فقط) والذي ينسى في حالات كثيرة لمن يعمل فعلاً (كما يحدث لمن يستخدمونه ، الذين يحلون المشكلة بحادث وفاة بسيط) كما ان العميل يواجه بالسؤال التالي : « لمن يفترض ان اعمل اليوم ؟ » والأسوأ من ذلك ان صفات شخص ما قد تظهر سهواً في شخص آخر ، ومن الواضح ان جميع هذا يصبح نوعاً من الارهاق ؛ ان العملاء المتقاعدين الذين مارسوا حياة مغامرة كهذه مولعون بسؤال عملاء متقاعدين آخرين : « أتعرف من انا ؟ » ، « هل تعرف ماذا فعلت ؟ » ـ انهم لا يتباهون ، بل يحاولون حقاً ان يعرفوا .

علم الترميز

هو علم ترميز المعلومات المطبوعة أو الشفهية او المصورة بحيث لا يستطيع اي انسان لا يملك الرمز ان يفهمها او يحلها ؛ وحتى لو بُسِّط العلم فإن أقل من شخص في المليون من المحتمل ان يفهم هذه المعلومات المرمزة ، وكما يدرك الناس فإن مبدأ « الأحجية » موجود منذ زمن طويل جداً ، ولكن ذلك لم يجعل حلها أبسط .

في هذه الأيام تبتكر الرموز والكتابة السرية باستعمال معادلات معقدة ، ثم يبتكر العلماء طرقاً لحل تلك الكتابة السرية باستعمال معادلات أخرى ، وفي الوقت الذي قد يؤدي ذلك الى جائزة نوبل ، إلا انه يجعل الحياة صعبة لوكالات الجاسوسية ومن المحزن

(لاختصاصيي اجهزة الكمبيوتر) ان الطريقتين الوحيدتين المأمونتين حقاً هما :

1) إضمامة الورق المستعملة لمرة واحدة (رمز يبتكر عشوائياً يطبع كمجموعة من أرقام تستعمل مرة واحدة وتقابل حروف الأبجدية) .

2) « رمز الكتاب » القديم .حيث يتفق شخصان (دائماً شخصان فقط) على كتاب ، من المفضل ان يكون متوافراً بسهولة ، وتكون الرسائل اما بإختيار كلمات او حروف فردية من صفحات مختلفة ثم ارسال تعليمات الموضع مثل 33 - 2 - 4 - 2 اي صفحة 33 الفقرة الثانية السطر الرابع الكلمة الثانية .

لسوء الحظ ان كلا من هاتين الطريقتين :

آ) مرهقة الى حد ما .

ب) تستهلك وقتاً طويلاً .

جـ) من المحتمل ان ترتسم ابتسامات السخرية والازدراء على وجوه أناس يدعون بأنهم يفهمون نظرية « الأرجحية والتغير الثابت » ، بالاضافة الى الجبر والأعداد الأولية .

إن المشكلة الرئيسية المتعلقة بجميع هذه الرموز / الكتابة السرية هي ان مجرد حيازتها يتجاوز الحد الذي يسبب الارتياب الشديد حتى لأقل رجال الشرطة او ربات البيوت خيالاً ، صحيح ان هذه الرموز / الكتابة السرّية يمكن اخفاؤها ، إلا ان المربك في الأمر ان المرء يحتاج في كل مرة يريد فيها ارسال رسالة ، الى :

- فتح علبة رغوة الحلاقة او مسحوق الطّلْق والبحث عن الميكروفيلم ثم تنظيفه .
- رفع لوح خشب من ارضية المنزل .
- قضاء ساعات في البحث عن **الكتاب** ثم يتبين له أن احد الاصدقاء استعاره دون اذن .

والمشكلة الأخرى هي ان الرموز والكتابات السرية معقدة للغاية ، فخطوة مغلوطة واحدة تجعل الرموز كلها كلاماً غير مفهوم ، وهو امر لا يطاق ، خاصة عندما يُبلّل جسم الانسان بالعرق البارد وهو يعرف أن رجالاً ببزات عسكرية (او معاطف) متربصون خارج منزله ، وبالاضافة الى ذلك فإن الكتابات السرية المعقدة تحتاج الى اجهزة كبيرة نسبياً لإرسال المعلومات ولاستقبالها ، وهي اجهزة تكون عادة في الطوابق السفلى في السفارات ، ولا يستطيع العميل ان يقضي كل وقته في التردد على السفارة بحجة الحصول على منشورات سياحية .

كما ان قيوداً مماثلة تنطبق في حالة اجهزة الارسال، التي تعتبر كلها رائعة نظرياً ، ولكنها قد توصل الى الهلاك اذا ما اكتشفت ، ولن يفيد المرء ادعاؤه بأن ما بحوزته ليس الآ جهاز راديو خاص مصمم لالتقاط « راديو 4 » او اذاعة موسكو او صوت امريكا ؛ ومهما كان الحال فإن اي عميل سري يعطى مجموعة من الرموز او الكتابات السرية مع اجهزة استعمالها لن يكون إلا ناقل رسائل او « أبتر » ، اذ لن يوضع أي مصدر هام موضع الريبة بأن يطلب منه ان يستعمل طرقاً فنية واجهزة موسومة بكلمة « جاسوس » .

كيفية العمل لوكالة اجنبية

لكي تتصل الكي / جي / بي او وكالة الاستخبارات المركزية مثلاً بالانسان يجب ان يعطي الانطباع بأنه :

1 ـ يعرف أشياء معينة يريدون ان يعرفوها .

2 ـ مخلص اساسا لوطنه .

3 ـ يستطيع الحصول على الأرجح على بطاقات لحضور حفلات الافتتاح للمسرحيات .

لكن ينبغي ان نتذكر أن لا أحد يثق حقاً بعميل عقائدي اذ ان :

● العاملين في الجاسوسية يحفزهم حب بلادهم ، الذي ليس له علاقة دائماً بحب الديمقراطية ، الى غير ذلك .

● العملاء العقائديين قد يشعرون بالمرارة قليلاً عندما يكتشفون بأن :

آ) الحياة في الاتحاد السوفييتي ليست تماماً جنة للعمال .

ب) الحياة في امريكا قد تكون صاخبة وخطيرة ما لم يكن الانسان في التأمين الطبي .

جـ) الحياة في بريطانيا صعبة ما لم يلبس الانسان ربطة العنق التقليدية اللائقة .

مما يعني ان على المرء ان يطلب نقوداً في وقت من الأوقات ، لكن من غير الحكمة ان يطلب :

ـ اكثر مما يجب ، لئلا يظنوه جشعاً .

ـ اقل مما يجب لئلا يظنوه هاوياً .

ان الأسعار تختلف ، لكن من حيث المبدأ ، يجب ان يكون الدفع متناسباً مباشرة مع العقاب الذي يتوقع الانسان ان يلحق به من بلاده اذا ما اكتشفت بأنه يعمل ضدها ، وهكذا يكون المقياس النسبي في بريطانيا كما يلي :

الحكم في حالة القبض على العميل	المبلغ
السجن مدى الحياة ●	75,000 الى 100,000 جنيه
السجن عشرين عاما ●	50,000 جنيه على الأقل
السجن عشرة اعوام ●	20,000 جنيه على الأقل
السجن خمسة اعوام	10,000 جنيه على الأقل
السجن عامين	5,000 جنيه على الأقل
تعليق العقوبة مع استمرار المراقبة	بطاقات غداء

● اذا كان الحكم مع الاشغال الشاقة ، يضاف 10% اما اذا كانت العقوبة هي الاعدام (بالنسبة للخيانة العظمى قد تكون كذلك حتى في بريطانيا) فيجب على العميل ان يصر على :

ـ مبلغ بالذهب لا يقل عن 150,000 جنيه .

ـ حساب في مصرف سويسري .

ـ تكاليف الجنازة ، كمنحة نهاية عقد العمل .

كما يدرك القارىء فإن من المعقول ان يحصر العميل نشاطاته

بتلك المهام الصغيرة التي اذا اكتشف امرها تؤدي الى السجن لفترة تتراوح بين عامين وعشرة اعوام ، بحيث يطلق سراحه شرط حسن السلوك بعد انقضاء نصف المدة ، اذ بينما المهام في هذه الفئة (في حالات كثيرة مجرد نقل الرسائل من شخص الى آخر) لا يدفع لقاءها مبالغ كبيرة كما هي الحال بالنسبة للنوع الآخر الأكثر بريقاً (كسرقة مستندات) ، إلا ان العميل يمكنه ان يقوم بعدة مهام في شهر واحد ، وفي واقع الأمر يستطيع المرء عند هذا المستوى ان يعمل لحسابه الخاص فعلاً ، وان يعمل لعدة وكالات مختلفة ـ ولكن لواحدة فقط في وقت واحد .

ان العقبة الخفية هي كيفية اجتذاب اهتمام الوكالة الأجنبية في المقام الأول ، أي كيف يجعلها المرء كفاتحة ، انها دون شك سترتاب في أية مفاتحات مكشوفة من جانبه ، إذ تفترض انه :

آ) ربما يكون عميلاً محرضاً .

ب) ربما يكون « بغيضاً عند الاستخبار » (شخصاً مبهوراً) بما يفترضه من الثروة والفتنة وليس لديه ما يبيعه الا الغرباء الموجودون على الأرض المعشوشبة الكائنة عند أطراف الحديقة العامة .

وهكذا فما لم يكن الانسان في مركز حساس (يتيح له الوصول الى المعلومات السرية) ويُعرف عنه انه في ضيق مالي ، وليس على وفاق مع رؤسائه ، فمن الأفضل ان ينضم الى احد أندية الصداقة حيث يكون محاطاً بعملاء M15 وأشخاص مضايقين استعلامياً ، واناس مهتمين جديا بالصداقة بين الأقطار ، والذين يقبلون من اجل الموثوقية .

يجب ان يتخلى القارىء عن فكرة تجنيده من قبل جاسوسة فاتنة ،

لقد كانت تلك احدى وسائل الكي / جي / بي الى أن ادركت ان رجال الأعمال الزائرين كـانوا يعـرفون بـأن افضل طـريقة للتمتـع بمكوثهم في موسكو هي ان يظهروا بأنهم يقاسون من الوحدة وانهم أهم مما هم في الحقيقة ، كما ان الصور الفوتوغـرافية التي تقـود الى التجريم لم تعد تفيد كثيراً اذ يعلم الجميع ان اثباتاً كهذا يمكن تزويره بسهولة (لا يمكن تزويره حقيقة ، لكن بما ان الجميع يظنون ذلك ، ومنهم زوجات رجال الأعمال ، فإن ذلك يقلل من شأنه) .

مسرد بالمصطلحات

الابتر : شخص قليل الأهمية يستخدم فقط كحلقة وصل لتجنب رؤية أناس اكثر اهمية منه مع بعضهم البعض ، وكذلك شخص مساوٍ له في عدم الأهمية مسؤول عن إمرار معلومات من ناقل رسائل الى آخر ، والابتر يجب الا يعلم ابداً شيئاً عما يفعله ، وعندما يلقى القبض عليه يميل الى ان يقطب جبينه رافضاً الكلام ، اكثر مما يفعل ناقل الرسائل .

أبناء العم : أصلاً كلام مصلحة الاستخبارات السرية عن وكالة الاستخبارات المركزية ، تستعمل بصورة متزايدة للاشارة الى أية منظمة امريكية .

الاجتماع : يكون الاجتماع عادة سرياً او بشأن عملية سرية اما « عقد الاجتماع » فهو الذهاب الى الحانة مع الاصحاب .

الاستخبارات الحربية البريطانية : يقوم الجيش بمعظمها ، رغم السماح للمنتسبين لسلاح الجو الملكي بالمشاركة فيها اذا حلقوا شواربهم ، وكذلك أفراد الاسطول الملكي ، اذ انهم يعرفون أفضل النكات .

استخبار الكتروني : معلومات يُحصل عليها من فحص الطيف الكهربائي المغناطيسي .

استخبار بشري : معلومات يحصل عليها من مصدر بشري .

الاضبارة الشخصية : ما يريد كل انسان ان يراه ، ولكن دون ان يتمكن من ذلك .

أمن الاتصالات : وضع برنامج عمل لصناعة الكمبيوتر .

بضاعة فاسدة : آ) ملتجىء قد يكون عميلا مزدوجا . ب) معلومات أصبحت قديمة .

بيت مأمون : مكان لا علاقة له على الاطلاق بمنظمتك الاستخبارية حيث تستطيع ان تجتمع بالعملاء والمصادر وغيرهم في أمان مطلق ، او هكذا تظن .

تجنيد : جعل شخص ما يعمل لـك حتى لو كـان يعتقد انـه يعمل لشخص آخر .

تحييد : الاهتمام بمواجهة تهديد معين بأسلوب حضاري الى حدٍّ ما ، فمثلاً عند اغتيال شخص ما ، فالعملية يجب ان تتم بسرعة ودون ان يشعر الضحية بها .

تدقيق أمني : عملية تقييم للانسان وللمعلومات التي يمتلكها لمعرفة ان كان يمكن الوثـوق بهما ، وكلما كـانت عملية التقييم أدق كلما اصبح الانسان ومعلوماته أدعى للريبة .

التغيب عن مكان الجريمة : عذر من يوجد متلصصاً في مؤسسة بالغة السرية وهو يحمل آلة تصوير وعدسة للتصوير البعيد .

التغيير : عملية تغيير الفرد للجهة التي يخدمها .

توصيل : عملية بسيطة (كإغلاق او فتح نافذة الى غير ذلك) لنقل

معلومات اساسية (مثل نعم / لا ، المكان مأمون / غير مأمون ، او ان الجو بارد / حار هنا) .

ثقيل : من يعمل اي عمل قذر يجب عمله .

جاسوس مضاد : شخص يستخدم لإيقافهم عن اكتشاف امرك ، او ما الذي تنوي عمله . ان العديد من عمليات التجسس تنتهي بتخلي المدافعين الرئيسيين عن عملهما وعودتهما الى بلديهما ، ناسيين ان يخبرا جاسوسيهما المضادين ، اللذين يظلان في عملهما حتى النهاية . ويشار الى ذلك فيما بعد بعبارة « انقطاع الاتصالات » .

حدث : شخص يبدو أصغر كثيراً مما هو في الحقيقة ، واذا كان جذاباً يمكن استخدامه للتوريط ، ثم الابتزاز .

حرق : كشف عميل يعمل لحسابه ، او عميل مزدوج ، او حتى احد عملائك .

خلية : مجموعة استخبارات او جاسوسية مستقلة ، لا تعرف الاّ رئيسها المباشر ومرؤوسها المباشر ، نظرياً على الأقل .

راعي البقر : شخص يجعل العمل يدخل دماغه ، او شخص يتصرف بطريقة هاوية وخرقاء ، الى حد ما .

راقد : عميل او مصدر يترك وشأنه (وتحت غطاء عميق) الى ان يكون لازماً لشيء هام .

سري : موظف مباشر لمصلحة استخبارات يتظاهر بأنه شخص آخر ، وليس بنجاح دائماً .

سنونو : (مترجمة عن الروسية) عميلة تغوي مصدراً مأمولاً .

شبكة : منظمة تتكون من خلايا او افراد جميعهم يقدمون المعلومات وكلهم يتذمرون بشأن نفقاتهم .

شخص طيب : أي شخص ، على الاطلاق ، يستحسن ما تقوم به .

شراء : دفع اموال كثيرة للحصول على معلومات من المحتمل ان تحصل عليها مجاناً من مجلة « سيانتيفيك اميركان » .

شرير : اولئك الذين لا يستحسنون ما تقوم به ، يكونون احياناً من الطرف الآخر ، لكنهم في اكثر الاحيان من طرفك .

صدى : دليل على ان الطرف الآخر قد اشترى برنامج المعلومات المضللة بأكمله .

« العامل س » : مقدرة بعض منظمات الاستخبارات على وجودها في المكان الصحيح في الوقت الصحيح ، تعرّفها وكالة الاستخبارات المركزية باستهانة بانها « ضربة حظ » - خاصة عندما تتحدث عن مصلحة الاستخبارات السرية .

عميل : شخص يعتقد انه يعرف لمن يعمل ، وقد يكون ظنه صحيحاً احياناً .

عميل مزدوج : شخص يعمل لك مع انه على ما يبدو يعمل لهم ، او هل هو كذلك حقاً ؟

غطاء : سبيك ، ويتراوح بين عمل مشروع وهوية مزورة ، لتمكنك من اخفاء حقيقة عملك لمنظمة استخبارات / جاسوسية .

غطاء عميق : عميل او مصدر له غطاء جيد بحيث يحتمل ان ينسى انه

من المفروض ان يعمل لك .

فساد الخلق : ظواهر مزعجة يميل معها العملاء في أماكنهم لأن يفقدوا توازنهم تحت الإجهاد ويبدأوا في عمل اشياء غريبة ، اولئك الضعاف العقول .

فوت الاستنقاذ : شيء او شخص تعرض للشبهة او الفضيحة بحيث لا يمكن استنقاذه ، وبهذا يُنسى ويوجه الاهتمام لشخص او شيء آخر .

قَطْع : إيقاف عملية بدأها الطرف الآخر ، حتى دون الاعتذار الكلامي في حالات عديدة .

قفص : غرفة اتصالات مأمونة تماماً (اي لا يمكن اختراقها الكترونيا ـ لكن مشغليها قد يكونون متقبلين للرشوة او معرضين للابتزاز) .

كلمة رمزية : كلمة او عبارة طنانة او طفولية تستعمل للاشارة الى شيء يعرفه الجميع على أي حال .

مخبأ رسالة متروكة : مكان يستطيع انسان ان يخبيء فيه معلومات يلتقطها انسان آخر دون ان يرى احدهما الآخر ابداً .

مديرية الاستخبارات الرئيسية : في الأركان العامة ـ الاستخبارات العسكرية السوفييتية ، تابعة للكي / جي / بي اذ انها ترفع تقاريرها لها ، بينما ترفع الكي / جي / بي تقاريرها مباشرة لمجلس الدفاع واللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي .

مزعج استخباري : شخص يدعي دائماً بأن لديه معلومات حيوية

لكن دون ان يكون لديه شيء منها على الاطلاق .

مستشار : سفاح إما بيروقراطي او عسكري لا يمكن تجاهل وجوده او نصيحته بأمان .

مستوى : درجة التدقيق الأمني .

مصدر : شخص او شيء يعطيك متعمّداً او دون تعمد معلومات قد تستعملها أو لا تستعملها ، لكنها مفيدة للمطالبة بالنفقات .

مصدر في الموقع : شخص في الموقع الصحيح ، اذا كان بريطانياً في روسيا ، يحاول يائساً مغادرتها ، واذا كان سوفييتياً في بريطانيا ، يحاول يائساً البقاء فيها .

معلومات مغلوطة : اشاعات كاذبة تنشر بعناية وتكون قريبة من الحقيقة الى حدّ ما ، لإثارة كافة انواع المشاكل .

ملتجيء في مكانه : شخص يود ان يلتجىء للطرف الآخر ، لكنه اقنع بالبقاء « فترة قصيرة » لتقديم معلومات قيّمة (وبما ان الفترة القصيرة تمتد الى سنوات ، فلا بد وان يصيبه فساد الخلق) .

مُلْغى : شخص حُيِّد .

منظمة استخبارات الأمن الاسترالية : منظمة غريبة ، إذ ان اسمها يطابق عملها بالفعل .

مهمة رطبة : مهمة قد تنتهي بمشاجرة كلامية ، بل حتى بالعنف .

ناقل رسالة : شخص يستخدم فقط لنقل معلومات من النقطة « آ »

الى النقطة « ب » ، ويفضل ألّا يعرف من اين اتت وممن أتت ، وما هي ومن سيتسلمها ، وليس غريباً أن يميل ناقل الرسالة الى تقطيب الجبين ويرفض الكلام ، خاصة عندما يُلقى القبض عليه .

وضع اجهزة التنصت : زرع اجهزة تنصت من مختلف درجات التقنية والتعقيد ، وجميعها مضمونة ان تتوقف عن العمل في الوقت العصيب .

وكالة : مجموعة من الشخصيات المراوغة مكرسة لمنع اليد اليسرى من معرفة وجود اليد اليمنى

الجاسوسية

في هذه السلسلة

1 - الجاسوسية
2 - الادارة
3 - الفلسفة
4 - الخطابة
5 - الادب
6 - الفن الحديث
7 - عملية النشر
8 - الجامعة
9 - الدعاية والاعلان
10 - المحاسبة

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت، ساقية الجنزير، بناية برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي، هـ ٨٠٧٩٠٠/١
تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

الغلاف: زهير أبو شايب